المغارة

الجزء الأول

عالم البادا

تأليف
محمود حمدى إسماعيل

المغارة

الجزء الأول

عالم البادا

تأليف

محمود حمدى إسماعيل

٢٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

- تمهيد. ٤

١ - الصحراء. ١٠

٢ - أرض غريبة. ٢٠

٣ - منزل الجور. ٢٨

٤ - المتمردين. ٣٧

٥ - في ضيافة الجور. ٤٧

٦ - في الأسر. ٥٤

٧ - قصر الملك. ٦٢

٨ - الوزير. ٧٠

٩ - إلى أرض الأرون..... ٧٧

١٠ - المكتبة. ٨٥

١١ - المؤامرة. ٩٣

١٢ - حجرة ابن الخالدي..... ١٠١

١٣ - الهروب. ١٠٩

١٤ - المعبد. ١٢٠

١٥ - الافتراق. ١٣٠

١٦ - الهجوم على المعبد..... ١٣٦

١٧ - الطريق لقبة الخالدي..... ١٤٤

١٨ - الحرب. ١٥٥

تمهيد

- القرن الثاني الهجري -

كانت ليلة كئيبة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ظلام يسود الأرجاء، السماء ملبدة بالغيوم، والبحر هائج والرياح تشتد أكثر فأكثر وكأنها لن تهدأ أبداً.. وصوت صرخات يزيد الليل كآبة.

بدا المشهد مرعباً، وقد ازداد البحر اضطرابا مع تزايد العاصفة.. والسفينة تتقاذفها الأمواج.. تتمايل مع كل لطمة من لطمات الأمواج العالية لأحد جوانبها.. وصيحات الاستغاثة والدعاء مختلطة بصرخات الألم.

فوق سطح السفينة وقف رجل ضخم له لحيه بيضاء قصيرة، وتعلو رأسه عمامة كبيرة، يبدو وجهه صلباً متجمداً لا يعرف الخوف ابداً.. وقف يصيح على البحارة بالعمل.. ويصدر أوامره وهو يتحرك يميناً ويساراً بثبات رغم تمايل السفينة.. كان ربان السفينة ويعلم تماماً كلما كان ثابت وقوي، اطمئن جميع من حوله على السفينة.

وفجأة انقلب البحر ضدهم وارتفعت الأمواج تعصف بالصواري وتطيح بمن يعترضها على سطح السفينة، وازدادت سرعة الرياح أكثر لتدفع السفينة نحو العاصفة.. وكأن كل هذا لا يكفي لهلاكهم حتى بدأت الامطار تنهمر بغزارة شديدة وبدا إنه طوفان لن ينجو منه أحدا.

اشتدت العاصفة ومع تزايد الأمطار سيطر الخوف على جميع الركاب، وأصابهم جميعاً الفزع والقلق، بينما يتحرك البحارة في كل اتجاه لتنفيذ تعليمات ربان السفينة.. كان التجار يسارعون بتغطية بضاعتهم بالقش واللباد حتى لا يفسدها الماء.. وربان السفينة يصيح بهم للاحتماء داخل الحجرة في الأسفل حتى لا يسقط احداً منهم في الماء.

في الأسفل اجتمع الركاب من المسافرين والتجار داخل الغرفة ونظراتهم خائفة، يتملكهم الرعب.. تشبث كلاً منهم بالجدار أو شيئاً يحميه من الاندفاع أو السقوط، وقلوبهم تكاد تنخلع كلما ارتطمت موجة بأحد جوانب السفينة فيسقطون أرضاً ويتزايد الاضطراب وتعلوا أصوات الدعاء والتضرع إلى الله.

تبعثرت جميع محتويات الحجرة إلا مائدة خشبية مثبتة في وسط الحجرة بجوار دعامة خشبية معلق عليها مصباح يضيئ الحجرة.. المصباح يهتز مع اهتزاز السفينة، ويرسل ظلالاً متحركة كأنها أشباح سوداء تزيد من كآبة الليلة وتثير الخوف في وجوه الحاضرين.

أسفل الدعامة جلس رجل متشبثاً بها.. ملامحه عربية خط الشيب شعر لحيته وعلى رأسه عمامة ذات لون قاتم يظهر في ضوء المصباح، وعباءته ذات تطريز فريد تدل على ثراء صاحبها، ويعلق فوق كتفه حقيبة جلدية لحمل الورق.. جلس على الأرض ممسكاً بصندوق خشبي صغير مفتوح وبه قوارير زجاجية تحوي سوائل مختلفة.. أخرج من

بينها قنينة حبر ثم أخرج من حقيبته الجلدية بعض الورق وريشة يستخدمها في الكتابة، بلل طرفها بالماء وثبت الورق على الأرض وبدأ يكتب .....

{ قبيل فجر اليوم الثالث من المحرم ، العام التسعين بعد المائتين من الهجرة الشريفة ؛

اشتدت الريح أكثر من اليوم السابق، وأخبرنا ريس السفينة إننا قد ضللنا وجهتنا وما ننتظر إلا النهار لنعرف مكاننا في البحر إذا نجانا الله من هذه الريح العاصف الليلة ... وبدأت حركة الريح من بعد صلاة العشاء ولم تتوقف ، وازداد البلاء بهطول الأمطار وفساد بضاعة التجار ... وأظن كثيراً من تركيبات الزيوت التي صنعتها ضاعت أو فسدت ولا نجاة في إعادتها سوى ما ذكرته من مخططات أحتفظ بها في حقيبتي حتى ينتفع بها الناس ... في الختام ليس لنا إلا أن ندعوا الله ونتضرع إليه في كشف ما نزل بنا مما نحن فيه من غم.

علي بن مسعود الخالدي }

ما أن إنتهى الرجل من الكتابة حتى وقع تصادم عنيف هز السفينة بقوة وأطاح بصندوقه الخشبي بعيداً عنه، لف الرجل ذراعه حول الدعامة ليتشبث بها بينما يده الأخرى مازالت ممسكة بالورق والحبارة.. ووصل إلى سمعه أصوات من أعلى تصيح : " سقط الريس "علي" ... لقد وقع على رأسه وأغشي عليه... " ؛ وقعت هذه الأنباء كالصاعقة في نفوس جميع الركاب.. أغلق الرجل الحبارة ووضعها مع الورق في حقيبته، واتجه مسرعاً صوب المخرج ولكن كان سبقه الكثير من الركاب، وزاد

الهرج والصياح أمام المخرج، فعاد الرجل للخلف فلم يكن ذو قوة جسمانية تمكنه من الاندفاع وسط هذه الجموع الهائجة.

عاد الرجل للغرفة.. وقد رُسِمت علامات الخوف على وجهه وكاد يخلع قلبه ما أن وقع نظره على أحد أركان الحجرة... سقط مصباح مشتعل على الأرض بجوار صندوقه الخشبي وقد انكسرت بعض الزجاجات وأُفرِغت محتوياتها بجوار النار.. فكر الرجل للحظة في الجري هناك لإبعاد النار عن الصندوق، ولكن قدماه تجمدت من شدة الفزع وتسارعت نبضات قلبه حتى كاد أن ينفجر وهو ينظر للسوائل وهي تمتزج ببعض وتقترب زاحفة باتجاه النار.

وقف الرجل يسترجع شريط حياته أمام عينيه في لحظات، كان عالماً يعلم الناس ويسافر أينما كان العلم، وتذكر أن هناك الكثير لم يتعلمه بعد.. مثل السباحة التي ربما كانت لتنقذه هنا.. أيقن الرجل إنه هالك لا محالة ليس لأنه لا يستطيع السباحة ولكن لإيقانه بأن من يستطيع السباحة لن ينجو من هذا الإعصار.. جال في خاطره أفكار كثيرة رغم ضيق الوقت فلم يكن هناك سوى لحظات حتى احتضنت النار السوائل لتزداد اشتعالا ويعلوا صوت أزيزها ليحدث انفجار هائل يطيح بجدار الحجرة وتندفع المياه وتغرق السفينة.

دفع الانفجار الرجل بعيداً ليجد نفسه يطير فوق الماء متشبثاً بحقيبته التي بها خلاصة علمه الذي سيُحرم منه الناس بموته هنا في قاع البحر، ارتطم جسده بقوة ساقطاً فوق صفحات الماء وهو مازال يحتضن حقيبته.. لا يقدر على شيء سوى أن ألقى نظره

حزينة اتجاه ما بقى من السفينة وهي تغرق معه تحت الماء، وأصوات النحيب والعويل هي أخر ما وصل لسمعه وهو يغوص للأسفل.

****

لم يعلم الرجل كم مضى من الوقت قبل أن يكتشف إنه مازال حياً، لا يعرف كيف حدث ذلك ولكن بطريقة ما نجا.. الظلام يحيطه من كل مكان فلا يرى شيئاً حوله، نظر للأعلى فلم يرى أي أثر للنجوم في السماء، حتى ظن إنه فقد نظره.

الرمال أسفل منه مبتلة وقدماه يلمسان الماء، بكل تأكيد إنه على شاطئ بحر، ولكنه مازال يتساءل أي بحرٍ هذا، وقف الرجل بصعوبة فكانت ملابسه متثاقله بالماء وخلع حقيبته من حول عنقه وحملها بيده وهو مازال يحملق بعينيه في الظلام ليميز أي شيء.. الهواء بارد وساكن من حوله.. تنصت ليسمع أي شيء فلم يسمع أكثر مما يرى، صمت تام يعكره صوت هدير الموج الخفيف خلفه في البحر.

أراد الرجل أن يصيح لينادي على أي شخص آخر نجا، ولكن شيء بداخله منعه من أن يُحدِث أي صوت.. كان يشعُر بشيء غريب في المكان ليس مجرد شعور غريزي بداخله فقط، ولكنه أيضاً شعور علمي حيث الرائحة حوله عطنه وغريبه، وبالرغم من وجود البحر خلفه إلا إنه لم يتمكن من تمييز رائحة اليود وكذلك الرطوبة ليست طبيعية، وهذه أشياء غير مفهومة وغريبة بالنسبة لرجل رحالة مثله سافر لبلدان كثيرة.

مد الرجل يده للأسفل والتقط بعض الرمال من الأرض وبدء يفركها بين أصابعه ليتفقدها كانت الرمال مبللة ولزجة قليلاً.. أخرج من ملابسه منديل حرير كان مُبتل

بالماء، وبدأ يمسح يديه ليزيل هذا الشيء منها، ثم توقف فجأة عن الحركة وظل شاخصاً ببصره بعيداً.

كانت هناك بقعة ضواء بعيدة تتحرك قادمة اتجاهه.. سر الرجل أنه مازال يرى ولكن الشعور بالخوف مازال يتملكه.. حركة اهتزاز النار غريبه وكلما اقتربت أصبحت أعلى وأضخم، وبدأ خياله ينسج الاحتمالات والظنون، والشعلة تقترب ويزداد الخوف بداخله، اقترب حامل الشعلة وبدأ يظهر .. إنه ضخم!! .. ليس بشرياً!! .. يزحف!! .. لونه أصفر!! ... اعتقد الرجل للحظه إنه تمساح ولكنه عاد قائلاً لنفسه : « ليس هناك تمساح أصفر اللون ... ولا بهذا الحجم ... ولا يحمل شعله!!. »

أصبح الرجل أكثر فزعاً حتى إنه تمنى لو كان مات غرقاً بدلاً من هذا اللقاء المرعب.. وقف يرتجف غير قادر على الحركة، ما إن اقترب هذا المخلوق المخيف منه حتى توقف عن الزحف ووقف على قدميه فأصبح أضخم بكثير وظهرت ملامح وجه المخيفة على ضوء الشعلة التي يحملها.. نظر إلى الرجل وتمتم بصوت يشبه فحيح الأفاعي وكأنه يتحدث بكلام غير مفهوم.

تعجب الرجل من ضخامة هذا الوحش وزاد استغرابه من صوته وطريقة كلامه فنظر في عين الوحش وغمغم قائلاً : « بكل تأكيد هذا ليس من الأرض ... أو أن هذا المكان ليس على الأرض!!. »

****

١

الصحراء

لم يتبقى سوى أقل من ساعة حتى يودع أخر أشعة الشمس مدينة الغردقة، حيث بدأت الشمس تتوارى خلف الجبال لترسم ظلاً داكناً ممتداً على رمال البحر الأحمر.

بعيداً عن الشاطئ كان هناك شابان يسيران بينما أحدهما يسبق الآخر، ظهر على وجه المتقدم علامات الغضب وهو يتحدث مع لاحقه قائلاً : « لماذا سمعِت كلامك؟!.. سنتأخر الأن عن العمل. »

رد المتأخر بهدوء على عكس صاحبه : « لا تقلق مازال هناك وقت لبداية الوردية »

انفجر المتقدم غضباً قائلاً : « أي وقت إننا بعيدين جداً عن الفندق.. بكل تأكيد سنصل متأخرين وهذه فرصة ليستغلها "كامل" حتى يوبخنا »

قال الثاني محتقنا من ذكر هذا الاسم : « هذا الأحمق أبن أخت المدير.. لكن على كل حال أستحق الأمر ذلك!.. »

-: « ماذا؟!... أنت تمزح.. سنفقد عملنا من أجل رحلة سفاري. »

رد صاحبه وعلى وجهه ابتسامة خفيفة : « ليست مجرد رحلة سفاري.. لا تنكر أنك أعُجبت بهذه الفتاة الايطالية!.. »

قال الآخر متصنع عدم الاهتمام : « أي فتاة.. كانوا جميعاً إيطاليين. »

- « وكأنك أنت من يتحدث الايطالية يا صديقي.. أنت تعلم من أقصد!. »

- « لا يهم.. فلن نراهم مرة أخرى. »

- « ولكني أعلم أين سيذهبون غداً، واعرف أنها تعيش في مصر.. والدتها عالمة آثار وتعمل هنا.... »

قاطعه صاحبه :« بكل تأكيد لا تعمل في الغردقة.. أعتقد أنه لا يوجد آثار هنا. »

رد صاحبه هامساً : « لا أعتقد ذلك!!..» ، ثم لاح ببصره في الصحراء وهو يشير بيديه بعيداً :«أعتقد أننا لو عبرنا الوادي خلف هذا الجبل سنختصر مسافة كبيرة إلى الفندق.»

أنعطف الشابان مبتعدين عن الطريق الممهد متجهين داخل الصحراء ليلتفوا من حول الجبل، بينما ظل أحدهم يسبق الآخر كما هو.. توقف المتأخر فجأة مشيراً بيدهِ بعيداً وقال : « "سعيد".. أنظر هناك!!.. ما هذا الشيء اللامع في الرمال؟!. »

توقف "سعيد" وعدل من وضع نظارته الطبية فوق عينيهِ ونظر نحو ما أشار إليه صاحبه وقال بدون اهتمام : « هيا "حسام".. أنها مجرد قطعة زجاج... »

قبل أن ينهي "سعيد" كلامه، جري "حسام" مسرعاً نحو الشيء اللامع.. كانت زجاجة غطّت الرمال أقل من نصفها وبداخلها شيء.. التقطها "حسام" ولوح بها إلى صاحبه وقال : « إنها زجاجة وبداخلها ورقة ملفوفة.. أعتقد أنها قديمة جداً ربما تكون أثرية. »

اتجه " سعيد" مسرعاً نحو صاحبه ونظر إلى الزجاجة متعجباً.. كانت ذات تصميم رائع لم يرى مثله من قبل.. لم تكن دائرية بل كانت ذات شكل مضلع طويل عليها زخرفة جميلة.. أخذها "سعيد"، وقال وهو يتفحصها : « شكلها غريب.. جميلة جدا والزخرفة التي عليها عجيبة.. وكذلك الورقة التي بداخلها ربما تكون رسالة. »

ثم أعادها ل"حسام" مرة أخرى وقال: « سنجد طريقة لإخراجها في الفندق دون أن نكسر الزجاجة.. هذه الزجاجة قيمة.. وربما يكون ما بداخلها رسالة من رسائل البحر القديمة. »

حاول "حسام" أن يخرج الورقة.. ظل يقلب الزجاجة ويحاول جاهداً إخراج الورقة بأصبعه ولكنه لم يفلح في إمساكها، ثم قال متسائلاً : «ولكن البحر بعيد من هنا.. والزجاجة غير مغلقة.. لو كانت في البحر لدخل بها الماء واستقر مكانها في قاع البحر.»

علق "سعيد" على كلام صاحبه قائلاً : « ومن المعتوه الذي يضع رسالة داخل زجاجة هنا.. في قلب الصحراء؟!. »

رفع "حسام" رأسه وغمغم قائلاً : « رسالة في قلب الصحراء....» ، ولكنه توقف فجأة وأشار لصاحبه باتجاه الجبل قائلاً بحماس : « أنظر!!.. بكل تأكيد هذا له علاقة بتلك الزجاجة.»

وقف "سعيد" هو الآخر بجوار صاحبه مُحدقين تجاه فتحة في الجبل.. ترتفع عن الأرض بحوالي مترين.. لم تكن مجرد فتحة طبيعية في جبل بل كانت على شكل مستطيل منتظم ومنسق جداً وحوافه منحوتته بدقة عالية.. لم يكن هذا فقط ما شدّ انتباههم ولكن الزخرفة والرسومات على حواف هذا المدخل كانت مماثلة للتي على الزجاجة.

أكمل "حسام" قائلاً : « هيا.. سنجد جميع الإجابات التي تتعلق بهذه الزجاجة في الداخل.»

اتجه "حسام" نحو الفتحة، و"سعيد" خلفه يحذره من الدخول.. وما إن وصلا إليها حتى توقفا أمام المدخل يتفحصان النقوش التي تزينه.. كان المدخل على شكل مستطيل بطول مترين تقريباً وعرضه أقل من ذلك بقليل، ومنحوت بشكل قوس نصف دائري من الأعلى.. ومعتم جداً من الداخل.

قال "سعيد" وهو يتحسس النقوش التي على حواف المدخل بيده : « هناك شيء غريب.. من الذي صنع هذه المغارة؟!. ولماذا لا يوجد أي أحد هنا بجوارها؟!. »

- « ربما نحن أول من نكتشفها!. »

- « فتحة في الجبل بهذا الحجم، وفي هذا المكان المكشوف، ولم يراها أحد... »

قاطعة "حسام" : «ربما كانت مخبأة وراء صخور ولم يرها أحد، وسقطت الصخور الأن.. وهذا لأننا محظوظان. »

رد "سعيد" مستنكراً : « كيف هذا؟!.. لا يوجد أي صخور أو رمال أمامها.. باستثناء تلك الصخرة الكبيرة وهي بعيدة عنها ولا يمكن أن تتحرك من نفسها. »

ظل حسام يفكر قليلاً قبل أن يقول : « من الممكن أن تكون مقبرة أثرية كانت مخبأة في الجبل وأكتشفها العلماء قريباً. »

خلع "سعيد" نظارته ومسح عدساتها بمنديل وقال : « أين العلماء؟!.. ولماذا تركوا هذه الزجاجة في الرمال؟!.. ولا يوجد حراس!.. هل تركوا مكان آثري بدون حراسة ليتمكن أي شخص من دخوله؟!. »

قال "حسام" منتبهاً : « دون حراسة!.. هذه فرصتنا للدخول.. ربما يوجد الكثير من الأشياء القيمة بالداخل... »

قاطعه "سعيد" معترضاً : « أنت لا تفهمني.. أريد أن أقول بأن هناك شيء غريب.. هذا المكان مكشوف ويمر بِه ناس كثيرة ولم يراه أحد من قبل، كيف لهذا أن يحدث؟. » ؛ ثم سكت "سعيد" قليلاً ليرتدي النظارة قبل أن يكمل حديثه : « هناك تفسير واحد لذلك وهو أن هذا المكان تم بناءه حديثاً، ويظهر هذا في دقة المدخل والزخرفة التي عليه وكذلك على الزجاجة.. أعتقد إنه تم بناؤه لغرض سياحي أو تجاري، أو ربما برنامج مقالب تلفزيوني. »

لم يكن "حسام" يهتم لفرضيات صديقه فتقدم أمام فتحة المغارة ووقف قائلاً : « لا أحتاج لتفسيرات.. سأدخل وأكتشف ما بداخلها. »

أوقفه "سعيد" وقال محذراً : « ماذا لو كان بالداخل حيوان وهجم عليك. »

توقف "حسام" ليفكر قليلاً قبل أن يرد : « يمكننا أن ندخل معاً ليحمي أحدنا الآخر... »

لم تعجب "سعيد" الفكرة فقاطعه بدون اهتمام : « ليس لدينا وقت لهذا.. إننا بالفعل متأخرون عن العمل. » ؛ وتحرك "سعيد" ليذهب قبل أن يستفزه "حسام" ، وقال ساخراً : « توقعت هذا.. تريد أن تهرب.. على كل حال سأدخل وحدي.. لا يوجد ما يخيفني. »

لم يكن "سعيد" مهتماً باستفزازات صديقه ولكن الفضول بداخله ورغبته في معرفة ما بداخل هذه المغارة قاومت شعوره بالسوء من هذه الفكرة.. فعاد إلى "حسام" قائلاً : « تريد أن ندخل.. لك ذلك.. هيا بنا. »

تقدم "حسام" وأخرج هاتفه المحمول من جيبه وأضاء الفلاش وسلط الضوء بداخل المغارة وخلفه "سعيد" ممسكاً الزجاجة في يده كسلاح ومتحفز لأي حركة تحدث فجأة.. ما إن وقع ضوء الفلاش داخل الفتحة حتى تمكنا من رؤية المكان بوضوح.. كانت المغارة ممتدة للداخل حوالي ستة أمتار وجوانبها ملساء ومستقيمة بدقة بالغة وبها زخارف كثيره لم تكن منحوتة بل مرسومه.. رفع "حسام" يده ليضيء سقف هذه

المغارة وما أن رأى الشابان السقف حتى انبهرا وأطلق "حسام" صفير اندهاش وهو يقول : « كم هذا جميل!!. هل تعتقد أن هناك من يفعل كل هذا من أجل خدعه؟!!.»

كان السقف مقوس، يرتفع عن أرضية المغارة بحوالي أربعة أمتار، وقد أمتلئ بكتابات ورسومات جميلة تزخرفه.. صور لكائنات غريبه مرسومه بشكل واضح ليست مثل تلك الرسومات الأثرية القديمة المبهمة التي وراها الزمن.. لم يكن لأحد الشابان قد رأى مثلها من قبل.. ظل "سعيد" ناظراً للكتابات على السقف في تعجب.. لم تكن تشبه الكتابات الفرعونية.. وليست مثل السومارية ولا أي كتابة قديمة أو حديثة.. والنقوش مرسومة لكائنات غريبه غير معروفة يُحيطها أفعى كبيرة مزخرفة بألوان كثيرة.

ظل الشابان في مكانهما عند المدخل فترة، و"حسام" يحرك الضوء ليستكشف جميع جوانب المغارة، حتى أوقفه "سعيد" وهو يشير باتجاه الجدار المقابل لهم في نهاية المغارة وقال: « أنتظر!.. هل ترى هذا القرص اللامع هناك؟!.. »

وقف الشابان يحملقان باهتمام نحو الجدار.. كان هناك قرص دائري يعكس الضوء عليهم، ولكن هذه القرص لم يكن الشيء الوحيد الذي لفت انتباههم ولكن لونه الذهبي البراق، ويتوسطه نقطة حمراء لامعة في منتصفه تماماً.

قال "حسام" بسعادة :«هذا ما أبحث عنه.. كنز آثري.. بالتأكيد هذا من الذهب.»

لم يكن "سعيد" منتبهاً لكلام صديقه.. ظل يحملق باتجاه القرص اللامع قبل أن يقول متخوفاً : « هل هذا الشيء الأحمر في المنتصف يسيل؟ أعتقد إنها دماء!. »

ضحك "حسام" وقال ساخراً : « دماء.. فيما تفكر؟ ستقول الأن لعنة الفراعنة. »

لم تعجب "سعيد" سخرية صديقه منه فقال غاضباً : « إنني متأكد بأن هذا الشيء الأحمر سائل، وتسيل منه مادة حمراء. »

حملق "حسام" إلى القرص الذهبي وقال باهتمام : « ربما هذا هو الزئبق الأحمر.. وهذا المكان منبعه.. ينبوع الزئبق الأحمر.. لقد صرنا أغنياء. » ؛ تقدم "حسام" بحذر شديد خطوة للأمام باتجاه القرص الذهبي، وهو يحمل الهاتف ليضيء له ويده الأخرى تتحسس الجدار بجواره.. وما أن تقدم خطوة أخرى حتى سمع صوت رفرفة أجنحة قادمة من الدخل تقترب باتجاهه.. رفع الضوء نحو الصوت كانت تقترب بسرعة لم يستطع تفاديها ولكنه أستطاع أن يغطي وجهه بيده وهو يشعر بصفع الأجنحة اللزجة ليده وشعره وهو يحاول إبعادها عنه حتى سقط على الأرض وهو يصرخ حتى ابتعدت هذه الوحوش الطائرة عنه.

كانت مجموعة من الخفافيش استطاع "سعيد" أن يتفاداها وهي تخرج من فتحة المغارة للخارج.. ومازال "حسام" ساقطاً على الأرض يحمي وجهه بيده وضوء الفلاش عليه.. حاول "سعيد" جاهداً أن يمنع نفسه من الضحك على منظر صديقه وقال ساخراً : « لا تخف.. إنها مجرد خفافيش.. وليست لعنة الفراعنة. »

غمغم "حسام" غاضباً وهو ينفض التراب عن ملابسه، ثم وقف وتقدم بحذر شديد وعينيه تنظر للأعلى ليتأكد من عدم حدوث شيئاً آخر.. فجأة توقف وصاح قائلاً: « "سعيد"... تعال هنا بسرعة!.. أنظر لهذا الشيء!!. »

تقدم "سعيد" مسرعاً ونظر حيث أشار له صديقه.. كانت فتحة في نهاية الجدار الأيسر مستطيلة الشكل مرتفعة بحوالي متر وعرضُها أقل بقليل، قال "سعيد" : « هذا السرداب يقود لحجرة أخرى بكل تأكيد.. ربما حجرة دفن المومياء.. مثل المقابر الفرعونية. »

رد "حسام" متحمساً : « نعم.. هناك كنوز أخرى.. لنستكشفها. »

أعترض "سعيد" على الفكرة قائلاً : « الوقت متأخر.. ليست فكرة جيدة أن نظل في مكان مثل هذا في الظلام.. يمكننا أن نأتي غداً في النهار بعد العمل. »

-: « على الأقل نأخذ هذه القطعة الذهبية. » ؛ وأشار "حسام" إلى القرص الذهبي اللامع.

وافقه "سعيد" وثبت الشابان نظرهما على الحائط متقدمان معاً بهدوء نحو القرص الذهبي.. ولكن فجأة حدث شيء غريب.. كانت هناك حفره مخفية، أو ربما ظهرت فجأة.

لم ينتبه الشابان للحفرة.. كانت حفرة دائرية قطرها يقارب المتر سقطوا بداخلها منزلقين للأسفل داخل جحر دائري شديد الانحدار.. أطلق الشابان صرخات عالية بكل قوة لكي يسمعهما أحد.. وهما مازالا ينزلقان بسرعة عبر ظلام تام.. كانت هناك عصيان لينة تبدو كجذور الأشجار تصفع أجسامهم.. غطى "سعيد" وجهه بيده ليحميه وهو يضغط بقوة على أسنانه ليحافظ على ثباته، بينما خلفه "حسام" أكثر ارتباكا تلسعه

هذه العصيان في جسده ووجهه وهو غير قادر على حماية نفسه من شدة الخوف، يطلق صرخات عالية ضاغطاً بيده على هاتفه المضيء.

****

٢

أرض غريبة

مر وقت والشابان ينزلقان للأسفل حتى ظنا إنه لانهاية لهذا المنحدر الطويل.. ازداد المحر اتساعا حتى وصلا إلى نهايته، ومعها بداية فراغ مظلم ممتد سقطا فيه.. وقد أطلاقا صرخات خوف شديده لتخترق سكون هذا الفضاء المظلم الشاسع.. "سعيد" ممسكاً الزجاجة بيده بينما الهاتف مازال يضيئ في يد "حسام" ليرسم نقطة ضوء صغيره في هذا الفراغ الهائل من حولهم.

لم يدم هذا السقوط طويلاً حتى وصلا إلى الأرض وقد ارتطمت أجسادهم بها بقوة.. كانت الأرض طرية، فقد سقطا على شيء ناعم كأنها حشائش رطبة قللت من قوة الاصطدام.

المكان حولهم شديد الظلام والسكون هو المسيطر على الأرجاء.. خيم الخوف على الشابين فلم يحدثا أي حركة.. وكان كل منهم سقط على مسافة من الآخر ولم يستطع أن يرى أحداهما الآخر.. تألم "حسام" بصوت مكتوم نتيجة السقوط ولم يسمع أي صوت لصديقه فنادى بصوت منخفض قائلاً : « "سعيد".. أين أنت؟. »

أقترب "سعيد" من الصوت وقال هامساً : « أنا هنا بجوارك.. هل أنت بخير؟.»

كان "حسام" مستلقياً بجواره على الأرض فأعتدل قائلاً : « جسدي يؤلمني قليلاً، ولكني بخير. » ثم نظر حوله قبل أن يسأل متعجباً : « أين سقطنا؟!.. ما هذا المكان الغريب؟!. »

أجاب "سعيد" وهو يتفقد نظارته على وجهه: «لا أعلم... لا أستطيع أن أرى شيء.»

-: « سقطنا للأسفل كثيراً.. بكل تأكيد نحن في جوف الأرض. »

رد "سعيد" وهو يدخل نظارته في جيب قميصه : « غريب، لقد سقطنا كثيراً، لوكنا في جوف الأرض.. فكيف نتنفس بارتياح؟!.. من أين يأتي الأوكسجين؟!. »

-: « إذاً.. ما هذا المكان؟!. »

-: « لا أعلم... » ، ثم سأل قائلاً كمن تذكر شيئاً هاماً : «هل هاتفك مازال معك؟!!.»

-: « لقد سقط مني عندما اصطدمت بالأرض.. لماذا تريده؟. »

-: « الزجاجة انكسرت، والورقة معي.. أريد ضوء لنرى ما فيها. »

قال ويده تبحث داخل جيب بنطاله : « جيد.. معي كبريت... »

أوقفه "سعيد" محذراً : « لا... لا... !! ربما يوجد غاز بهذا المكان. »

أعاد "حسام" علبة الكبريت لجيبه مرة أخرى وهو يغمغم حزيناً : « ما هذا الحظ.. لن أتمكن حتى من إشعال سيجارة. »

بدأ "سعيد" يتحسس الأرض حوله بحثاً عن الهاتف و"حسام" يساعده حتى رأى ضوء مكتوم صادر عن شاشة الهاتف المواجهة للأرض، تقدم "حسام" نحوها بسعادة وقال : « وجدته.. إنه هناك !. » ، ووضع يده عليه ليعدله، ولكن فجأة مد "سعيد" يده بسرعة ليخطف الهاتف، ثم أغلقه وقال هامساً : «أسمع!... هناك أصوات غريبة.»

تنصت الشابان بحذر حتى تمكنا من معرفة اتجاه الصوت.. أمسك "سعيد" يد "حسام" وتسللا بهدوء شديد اتجاه مصدر الصوت.. وفجأة جذب "سعيد" يد صديقه بسرعة لينخفضا على الأرض وأشار له وهمس قائلاً : « أنظر هناك !!... »

كان الشابان فوق مكان عال.. وبعيداً عنهم في الأسفل تمكنوا من رؤية نار مشتعلة يجلس حولها أشخاص كثيرة في ملابس خضراء.. ترسم النار ظلالهم الطويلة لتمتد خلفهم عائدة لتحتضن الظلام المحيط بهم.

همس "حسام" متسائلاً : « من أين أتى هؤلاء الناس؟!. »

أخرج "سعيد" نظارته وتفقدها وهو يقول : « من المحتمل أنهم سقطوا أيضاً. »

-: «أو أن هذا مكان اجتماعات خفي لمجموعة سرية.. يمكننا تتبعهم وهم يخرجون.»

حملق "سعيد" في المجتمعين وهمس بصوت مخيف : « لا أعتقد أن هؤلاء يخرجون لمكان آخر. »

-: « ماذا تعني؟!.. »

-: « هذا المكان موطنهم. »

سأل "حسام" قلقاً : « يعيشون في جوف الأرض!!.. لماذا تقول ذلك؟. »

مسح "سعيد" عدسات نظارته بملابسه وقال بهدوء مخيف وهو يرتديها : « لدي إحساس سيئ حول هؤلاء ال..... »

قاطعه "حسام" وقد ازداد اضطرابا وقال بصوت مسموع: «أي إحساس... ربما هذا مكان آثري أو منجم وهؤلاء علماء آثار أو حتى لصوص.. إنهم يشعلون النار ويجلسون غير مباليين بشيء من حولها، بكل تأكيد إنهم يعلمون طريق الخروج من هنا.»

ظل "سعيد" محدقاً إليهم وقال محاولاً الحفاظ على هدوئه : « أهدأ.. أنهم ليسوا كذلك !!... هناك شيء غريب. »

تسلل الخوف إلى قلب "حسام" الذي رفع صوته قائلاً : « هل تظن بأنهم سقطوا مثلنا ولا يستطيعون العودة، أو... أو تعتقد بأنهم أحفاد لأشخاص سقطوا هنا ولم يتمكنوا من العودة... وأصبح هذا موطنهم. »

لم يُجيب "سعيد" وظل شاخصاً ببصره اتجاههم كما هو، مما زاد من خوف "حسام" فقال مرتبكاً :«هل هذا ما تعنيه بأن هذا المكان موطن هؤلاء البشر؟. »

انزعج "سعيد" بسبب علو صوت "حسام" فنظر إليه وقال بصوت أكثر رعباً : « أخفض صوتك... هؤلاء ليسوا بشر !... »

وقعت هذه الجملة على "حسام" كالصاعقة وسكن الهدوء المكان كما سكنه الظلام.. تجمد الشابان في مكنهما حتى ظنا بأن الوقت توقف من حولهم، وتوقف كل شيء معه

حتى أنفاسهما لم يستطيعا سمعها لعلوا صوت ضربات قلبهم داخل أذانهم وكأنها قرع طبول، صمت الشابان وتجمدا في مكانهما ناظرين بثبات نحو الضوء.

مضت فترة على هذا الصمت قبل أن يقطعه "حسام" قائلاً: «لكني أراهم بشر مثلنا.»

-: « أنظر إلى أحجامهم.. حركاتهم.. لونهم.. إنهم خُضر. »

قال "حسام" منكراً : « ربما الملابس.. أو طلاء. »

رد "سعيد" شارحاً : « إنهم لا يرتدون ملابس سوى قطعة صغيرة حول وسطهم لونها مختلف قليلاً.. ولا أعتقد بأن هذا طلاء. »

ظل "حسام" ينكر هذه الفكرة قائلاً : « ربما ترى هذا بسبب الضوء، أو... »

قاطعه "سعيد" وقال غاضباً : « هل أنت مجنون.. إن كان هؤلاء بشر فماذا يفعلون في هذا الظلام الشاسع.. على الأقل ماذا يأكلون ومن أين يشربون هنا. »

رد "حسام" مذعوراً : « من الممكن أن يكونوا متنكرين.. وليسوا... »

لم يهتم "سعيد" بفكرة صديقه، وقاطعه متسائلاً : « لحظه... هناك شيء غير مفهوم بخصوص هذا الظلام.. إذا كانت هذه الكائنات تعيش في الظلام لماذا يشعلون النار؟!. »

-: « إذاً الظلام ليس دائم هنا.. هناك نهار وضوء، ولكننا سقطنا في الليل.»

قال "سعيد" متفقاً معه : « أتمنى هذا.. فأنا لا أطيق الظلام خصوصاً في مكان مخيف وغريب مثل هذا.. ولكن ربما..... »

لم يكمل "سعيد" كلامه حتى أحس بيد تتسلل فوق كتفه من الخلف ضاغطه عليهم بإحكام، وتبعها صوت غير مفهوم.. ارتجفت أجسادهم من الخوف ولم يستطيعا النطق، ونظرا للخلف بحذر ولكنهم لم يتمكنا من رؤية من يمسكهم لشدة الظلام.. ظل الصوت الغريب يتحدث والأيدي الممسكة بهم تزيد من الضغط عليهم، أضاء "حسام" فلاش الهاتف، وسلطهُ مباشرة اتجاه مصدر الصوت.. شاهدوا ثلاث كائنات يتعدى طولها المترين بشرتهم خضراء اللون، لهم أعين خضراء بارزة، وفك ضخم يتوسطه فم واسع، ويغطي رؤوسهم شعر أسود طويل.. ما أن سقط الضوء عليهم حتى رفعوا أيديهم ليحموا أعينهم في فزع شديد.

لم يتمالك الشابان نفسهما من المنظر وأطلقا صراخاً عالياً.. أمسك وهربا معاً بعيداً.. المكان من حولهم شديد الظلام إلا من ضوء الهاتف، مليء بالصخور والحفر التي تعثرا في أغلبها.. ظلا يجريان مسافة طويلة حتى أحسا بالتعب، ولم يعد هناك صوت لأحد خلفهم.

اختبأ الشابان داخل حفرة عميقة قليلاً.. وأطفئ "حسام" الضوء وظل الأثنين ساكنان لا يتحركان بينما نبضات قلوبهم تكاد تخرق صدورهم من شدة الخوف.. نظر "سعيد" اتجاه صديقه وهمس : « هل رأيت هذا..؟! إنهم خُضّر... »

رد "حسام" مكملاً : « ووجوههم شكلها غريب.. أنهم فزعوا من الفلاش. »

-: « لديهم حساسية من الضوء.. معنى هذا أنهم يرون جيداً في الظلام، هكذا أمسكوا بنا.»

-: « ربما سمعونا، لم تلاحظ أذانهم الطويلة. »

-: « على كل حال.. سنظل صامتين. »

جلس الشابان داخل الحفرة ينتظران المجهول، ويتمنيان بداخلهم أن يكون كل هذا مجرد كابوس ليس إلا.. مجرد وقت ويفيقا ؛ ولكن هذا الواقع المظلم حولهم لا يعطيهما الكثير من الأمل في ذلك.. أتحد السكون والظلام مع الخوف بداخلهم ليحبسا الزمن من حولهم، وشعروا بأن الوقت توقف تماماً والانتظار طويل جداً أطول حتى من عمرهم المنصرم.

ظل الاثنان صامتين لا يدركان كم مر عليهم من الوقت حتى قطع هذا الصمت صوت رنين مألوف لأذنهم.. همس "سعيد" : « ما هذا...؟!. »

رد "حسام" وهو يتفقد هاتفه قائلاً : « أنها رسالة.. المدير.. اتصل أكثر من مره ولكن لم تكن هناك إشارة.... »

سأل "سعيد" متلهفاً : « وهل لديك إشارة الأن ؟. »

أجاب "حسام" بنبرة حزينة : « تتقطع للأسف.. علينا أن الانتظار هنا حتى نتمكن من التقاط أشاره والاتصال أن بأحد من الخارج ليساعدنا. »

-:« نتصل بالشرطة، ونخبرهم عن مكان المغارة، سيفعلوا شيئا ويخرجونا من هنا.»

قال "حسام" متحمساً : « أو حتى الجيش يرسل قوات إلى هنا تنقذنا. »

قال "سعيد" بصوت هادئ : « علينا الانتظار هنا حتى..... » ، ثم صمت قليلاً واستنشق الهواء، وقال متسائلاً : « هناك شيء غريب.. هل تشم هذه الرائحة؟. »

-: « ما هذه الرائحة.. أنني أحس بدوار شديد.... »

-: « أعتقد هذا..... أمم..... »

لم يكمل "سعيد" كلامه حتى بدأ الأثنان يحسا بنعاس شديد ويصل لأسماعهما طرقات أقدام أتيه نحوهما قبل أن يفقدا الوعي ولم يشعرا بشيء نهائياً من حولهم.

****

٣

منزل الجور

كان الضوء خافتاً حينما بدأ "حسام" يفيق، لم يستوعب شيئاً حتى فتح عينيه تماماً ووجد نفسه مُلقَى على الأرض ومقيد بالحبال.. وصديقه "سعيد" بجواره على الأرض مازال نائماً ومقيداً بالحبال أيضاً.

تصنع "حسام" النوم وظل ساكناً لا يتحرك.. يتفقد المكان من حوله بحرص شديد كي لا يعلم أحد بأنه أستيقظ.. كانوا داخل بهو واسع تضيئه مشاعل حجرية ضخمة عبارة عن تماثيل لكائنات غريبة تحمل النار، وكذلك يوجد بعض المشاعل الحديدية مثبته على الجدران .. تُزين الجدران نقوش وصور كثيرة يطغى عليها اللون الأخضر.. وهناك أعمدة دائرية ضخمة مزخرفة بأشكال غريبة، وقاعدتها مربعة وتمتلئ بنقوش كثيرة، والغريب بأن هذه الأعمدة الشاهقة لا تصل في نهايتها إلى سقف مما يدل على أن هذا الأعمدة تم نحته بالكامل داخل جبل أو في جوف الأرض.

يمتلئ المكان حولهم بالكائنات الخضراء، يشبهون البشر ولكن طولهم يتعدى المترين، وأجسامهم رفيعة ولهم رؤوس طويلة، وأعينهم خضراء بارزة، وأذانهم طويلة، ويمتلكون فك ضخم يحيط بفمهم الواسع، ولهم شعر طويل أسود، يرتدون جلود

الحيوانات لتغطي وسطهم، بينما الإناث منهم يرتدون المزيدمن الجلود حول أجسامهم، والإناث لهم رؤوس متناسقة جميلة وأعينهم بارزة أيضاً ولكنها واسعة قليلاً.

انتشرت هذه الكائنات الخضراء في المكان يتسامرون معاً بلغتهم الغريبة، وبعضهم يفترش الأرض.. لمح "حسام" أحدهم جالس على كرسي حجري ضخم مرتفع، يوجد أمامه ثلاث درجات سلم كبيرة مزخرفه، هذا الكائن لونه أخضر مثلهم ولكنه أكثرهم ضخامة وله شعر أبيض طويل، ويقف أمامه بعض من هذه الكائنات يتحدثون وهو منصت لهم في اهتمام.

نيران المشاعل ترسل ضوئها ليرسم ظلال متحركة كئيبة على الأرض والجدران، تثير الخوف والرعب في النفس.. بينما "حسام" يتفقد المكان بعينيه متصنعاً النوم لم يلاحظ اقتراب أحد هذه الكائنات منه وقد مد يده ليتحسس وجهه، أنتفض "حسام" للخلف فزعاً منه، والكائن يصيح بصوت عال مشيراً إليه.. إلتفت الجميع نحو الشابين، وفي ثواني قليلة انتشرت هذه الكائنات حولهم محدثين صخب شديد.

عيونهم المستديرة البارزة تحملق في الشابين، وكأنها سهام نار تريد تخترق صدورهم، ويشيرون بأصابعهم الخضراء الطويلة نحوهم.. أحس "حسام" بأن قلبه قد توقف عن النبض من شدة الخوف ولم يستطع التفكير ولم يدري بنفسه إلا وهو ينادي على "سعيد" ويهزه بقوة ليجعله حتى يفيق.

أفاق "سعيد" مرعوباً من المنظر ولكنه كان أكثر استيعابا للموقف من صديقه.. ظلت هذه الكائنات تقترب منهم وتتحسس وجوههم وأجسامهم بصوابعهم - لهم ثلاث أصابع في اليد الواحدة - ويتحدثون معاً كلام غريب ولغة غير مفهومة.. حاول "سعيد" أن يتواصل معهم فحدثهم بالعربي والإنجليزي وما يعرفه من الفرنسية، وأيضاً حاول "حسام" محادثتهم بالإيطالي وكذلك بالإشارة ولكن جميع محاولاتهم إنتهت بالفشل.

استسلم الشابان لليأس.. فلن يتمكنا من التواصل معهم.. سأل "حسام" صديقه في خوف : « هل تظن إنهم سيقتلوننا؟. »

-: « لا أعتقد.. لو أرادوا هذا لفعلوه منذ ما أمسكوا بنا. »

-: « وماذا يريدون منا؟!. »

-: « لا أعرف.. المهم الأن كيفية التواصل معهم لمعرفة من هم ؟!. »

ظل الشابان ينظرا لهذه الكائنات وهي تتحدث معاً في وقت واحد محدثة ضجة عالية وأعينهم المستديرة البارزة تحملق فيهم وكأنها تسخر منهما، وقد بدا على هذه الكائنات انعدام النظام والعشوائية رغم ما يظهره نحتهم من جمال ودقه عالية.

لم تدم هذه الضجة طويلاً حتى صدر صوت قوي من الخلف فسكت الجميع وسكن الصمت المكان، وتحركت الكائنات الخضراء تفسح الطريق لشخص قادم من الخلف وبدأ يقترب حتى تمكن الشابين من رؤيته بوضوح.. عرفه "حسام" إنه قائدهم الذي كان جالساً على الكرسي الضخم.. لم يكن هذا القائد يختلف عنهم في اللبس ولكنه

كان أطولهم فطوله يتعدى المترين والنصف وله شعر أبيض طويل مجدول ويظهر على وجهه الوقار والاحترام وله جبهة عريضة ويتحرك بهدوء واتزان.

صمت الجميع وبدأ يظهر النظام والانضباط عليهم، تقدم القائد حتى وصل إلى الشابين فانحنى للأسفل ناظراً إليهم، وقد اقترب بوجهه نحو "سعيد" ثم تحدث بنفس اللغة الغريبة فأستيأس "سعيد" وقال غاضباً : « لا أفهم ما تقوله.. أننا نتحدث العربي... »

وقف القائد وهو يضع يده على فمه مستغرباً ويُعيد أخِر كلمة قالها "سعيد" بهدوء : « عربي... عربي... » ، ثم نظر إلى الخلف وصرخ بصوت عال: «كوشي... كوشي...»

وفجأة تحول الصمت إلى ضجة واضطراب مرة أخرى وبدأ الجميع يتحركون وهم يعيدون كلمة القائد بصوت عالي : « كوشي... كوشي... »

ملأ الفزع والخوف قلوب الشابين مع تزايد الضجيج والحركة حولهم وتردد تلك الكلمة التي لا يفهموها ولكنهم يتوقعون بأن هناك شر قادم لا محاله.

توقفت الأصوات فجأة، وظهر شبح شخص قادم من الخلف باتجاه القائد ؛ اقترب أكثر وظهرت ملامحه.. إنها أنثي.. فتاة خضراء مثلهم لكن ملامحها متناسقة وجميلة إلى حد ما، لها شعر أسود ومجدول طويلاً، تغطي جسدها بجلود حيوانات مثلهم.

وقفت "كوشي" أمام القائد تحني رأسها احتراما له.. تحدث القائد إليها قليلاً.. ثم التفتت إلى الشابين قائله بصوت عربي واضح : « من أنتم؟.. ومن أين أتيتم؟. »

سيطرت الدهشة على الشابين وقد ألجمت المفاجأة لسانهما فلم ينطقا وظل صامتين فترة قبل أن تعود "كوشي" وتسأل : « هل تفهمون ما أقول؟!. »

رد "سعيد" وهو مازال مستغرباً : « أه ... كيف تتكلمين العربية؟!. »

قالت "كوشي" بحزم :« أنا من أطرح الأسئلة هنا.. والأن أجيبوا على سؤالي. »

رد "سعيد" قائلاً : « وصلنا هنا بالصدفة.. كنا نسير فوق.. » ، ثم أشار بإصبعه للأعلى وهو يكمل : « فوق الأرض ثم سقطنا في حفرة أوصلتنا إلى هنا. »

استغربت "كوشي" مما قاله "سعيد"، وذهبت باتجاه القائد تترجم له، فظهرت كذلك علامات الدهشة والاستغراب على وجهه أيضاً، وحدثت ضجة من الحضور فأوقفها القائد بصرخة عالية على عكس هدوئه فصمت الجميع على إثرها، ثم التفت إلى "كوشي" يحدثها بينما عينيه تنظر نحو الشابين.

توجهت "كوشي" ل"سعيد" وسألته :« ماذا كنتم تفعلون عند مكان اجتماعنا ؟. »

رأى "سعيد" الجميع من حوله يحدقون فيهم، فازداد رعباً وأجاب مسرعاً : « أي اجتماع.. تقصدي هذا المكان الذي سقطنا فيه.. لقد سقطنا هناك بالصدفة كما أخبرتك. »

سألت "كوشي" بهدوء : « إذاً أنتم لستم جواسيس؟. »

توتر "سعيد" وقال مرتبكاً : « نحن لا نعلم أي شيء عنكم أو عن هذا المكان.. لقد أخبرتك إننا سقطنا هنا بالصدفة. »

أكمل "حسام" متصنعاً الهدوء ليخفف من توتر صديقه : « حتى إننا لانفهم لغتكم. »

ترجمة "كوشي" ما قاله الشابين للقائد فظهر على وجهه الارتياح وبدأ الهدوء يسيطر على الجميع.. التفتت "كوشي" إلى الشابين وسألتهم بلطف على عكس ما سبق : « أنتم لستم من هذا العالم.. صحيح؟!. »

رد "حسام" ساخراً : « بكل تأكيد فإننا لسنا خُضّر. »

لم تستوعب "كوشي" سخريته وسألت موضحه : « هل أنتم من عالم البشر؟. »

سأل "حسام" متلهفاً : «هل تعرفين عالمنا؟.. هل يمكنك إعادتنا إلى هناك؟. »

ردت "كوشي" : « لا... ولكن نعرف عالمكم.. منذ زمن آتى هنا شخص من عالمكم أسمه "أبن الخالدي" هو من علم أجدادي لغتكم. »

قال "سعيد" : « وهل سقط "أبن الخالدي" لعالمكم مثلنا أيضاً ؟!. »

-: «لا.. وصل "أبن الخالدي" إلينا عن طريق البحر.. وأخبرنا أنكم ستأتون... »

سأل "حسام" متسرعاً : « وهل عاد لعالمه أم لا؟!. »

أجابت "كوشي" ببرود : « حاول كثيراً.. ربما أستطاع أن يعود.. هذا ما تمناه الجميع له.»

قال "سعيد" : « ماذا تقصدين ؟. »

ردت "كوشي" بحزن : « أخبرنا أجدادنا بأن "الطوس" أمسكوا به، وقضى آخر أيامه هنا برفقتهم.. ولم نعلم نحن شيئاً عنه. »

-: « من "الطوس"؟!. »

قالت باحتقان : « إنهم الحكام والقادة.. مجموعة من الظلمة يسيطرون على كل شيء بقوتهم وسلاحهم .. ويسخروننا لخدمتهم. » ، ثم صمتت قليلاً قبل أن تكمل بنبره متحدية : « ولكن هذا لن يدوم طويلاً. »

قال "حسام" ساخراً : « هل ستقومون بثورة عليهم ؟!... »

أجابت "كوشي" غير مباليه بسخريته : « إننا نفكر في هذا من زمن طويل، وأظن أن الوقت حان بوصولكم إلى هنا. »

تعجب الشابان من قولها ، وسألها "سعيد" :« نحن.. وما علاقتنا نحن بهذا ؟!. »

ردت "كوشي" : « أخبر "أبن الخالدي" أجدادي.. حينما يعود لعالمه سوف يرسل لنا بشر ليساعدونا ونعتقد إنكم رُسله. »

-: « كيف هذا..؟!. ونحن لا نعرف "أبن الخالدي" هذا ؟. »

قالت "كوشي" شارحه لهم : « لقد أخبرنا أنكم ستأتون من عند قبة الخالدي - والتي سميناها على أسمه - ونعقد عندها اجتماعنا.. لذلك تحمسنا حينما عرفنا أنكم أتيتم من هناك، وكذلك عندما عرفنا أنكم أحضرتم سلاحكم. »

سأل "حسام" مستغرباً : « أي سلاح هذا ؟. »

تركتهم "كوشي" ولم ترد عليهم، والشابان ينظران لبعضهما في ذهول، حتى عادت مرة أخرى وهي تحمل في يدها هاتف "حسام" وتقول : « هذا السلاح البراق. »

صاح "حسام" محاولاً فك قيوده :« هاتفي.. أرجوكي فكي قيودي وأعطيه لي. »

نظرت "كوشي" إلى القائد وكان يراقبهم فقالت مترددة : « أني أثق فيكم... ولكن أخشى أن تستعملوا السلاح ضدنا. »

قال "سعيد" ليطمئنها : « لا تخافي.. نحن نريد أن نراه وهو في يدك فقط. »

وافقت "كوشي" على فكرة "سعيد".. وقربت الهاتف من رأس "حسام" الذي حول جاهداً إضاءته بفمه ثم قال متذمراً وهو ينظر للهاتف : « ياللحظ.. لا توجد أي شبكة مطلقاً. »

استغربت "كوشي" من فعل "حسام"، بينما ترجها "سعيد" قائلاً : « أرجوكي.. أعدينا إلى المكان الذي سقطنا فيه قبل أن نحضر هنا ؟. »

تركتهم "كوشي" مرة أخرى وتوجهت لتسأل القائد وظلت تتحدث معه فترة قبل أن تعود للشابين وتفك قيودهم وهم في سعادة، وسألها "حسام" : « هل ستعيدوننا إلى المكان الذي سقطنا فيه ؟. »

نظرت إليهم "كوشي" وقالت : « لا.. ليس قبل أن تقابلوا "حرود" زعيم "الجور". »

سأل "حسام" مغتاظاً : « من هذا "حرود"... ؟!. »

ردت "كوشي" : « إنه زعيمنا الذي نعول عليه في ثورتنا. »

سأل "سعيد" بلطف : « إذاً أنتم "جور".. ماذا تعني.. ؟. »

ابتسمت "كوشي" وهي تجيبه : « ندعى "الجور".. وتعني الأرض. »

قاطع "حسام" الحوار المرح بينهم وقال غاضباً : « نحن نريد أن نعود للأرض.. لا أن نذهب لزعيمكم. »

همس "سعيد" بصوت منخفض لصديقه : « لن نخسر شيئاً من مقابلته.. بعد ذلك لن تكن أمامهم حجه ليعيدونا حيث نريد. » ، ثم أتجه "سعيد" إلى "كوشي" مبتسماً بينما "حسام" ظل واقفاً في مكانه غاضباً ينظر إليهم.

****

٤

المتمردين

خرج الشابان برفقة "كوشي" يحيطهما الكثير من كائنات "الجور" ليخفيهما عن الأنظار، تحرك هذا الجمع محدثاً ضوضاء.. الشابان في المنتصف يسترقان النظر من حولهم ليتفقدا هذا العالم الغريب.. المكان مظلم في الخارج تضيئه مشاعل مثبته على الجدران، والشوارع عبارة عن ممرات منخفضة وسط مرتفعات من الصخور، وكأنها خنادق بين جبال لا يتعدى عرضها المترين، والجدران مرتفعة للأعلى حيث تختفي في الظلام الشديد.

ظل الجمع يتحرك بسرعة إلى أن وصل لنهاية الممر.. نظرت "كوشي" إلى الشابين وقالت محذره : « سنعبر السوق الأن.. حاولا ألا تخرجوا من المنتصف أو أن يراكم أحد. »

خرجوا من الممر الضيق ليجدوا أنفسهم في مكان مفتوح تضيئه مشاعل حجريه ضخمة ثابتة فوق الأرض.. كان السوق يزدحم بكائنات غريبة مختلفة ولها أشكال مخيفة.. شاهد الشابان مخلوق ضخم وجهه مشوه مليء بالجروح له أنياب بارزة وحوافر حادة يرتدي دروع حديديه، يجر حيوان يشبه البقرة ولكنه أضخم ويحمل أشياء كثيرة على ظهره.. ورأوا مخلوقان يسيران بالقرب منهم لهما وجه إنسان وجسم أسد ضخم يشبهان

أبو الهول ولكن لونهما أحمر ولهما شعر طويل.. وبعيداً وقف مخلوق آخر بشرته سوداء يشبه البشر لكن له رأس كبير ويديه ضخمه بشكل غريب وقد فرش على الأرض أمامه أشياء غريبة مصنوعة من الحديد، وقف أمامه وحش لونه أصفر وله ذيل يشبه التمساح، يمتلك ستة أطراف ذات حوافر حادة يزحف على أربعة منها مثل الديدان، بينما جذعه قائماً مثل الإنسان وله يدين ضخمتين ورقبته عريضة، ويمتلك أذنين مثل أذن الفيل منسدلة فوق كتفه، كان ضخم جداً فطول جذعه فقط يتعدى المترين ومنظره مرعب.. ظل "حسام" يحملق فيه وشد "سعيد" ليلفت نظره إليه وهو يقول : « أنظر.. هل ترى هذا الوحش الضخم ؟!. »

ما أن أنهى "حسام" جملته حتى اهتزت أُذن العملاق الأصفر وارتفعت بشكل غريب حول رأسه، واستدار بجسمِه ليكون في تجاههم وهو يفتش بعينيه الضيقة عنهم ويخرج من فمه لسان طويل مشقوق كالأفاعي.. اقترب هذا الكائن من جمع "الجور" ثم وقف على رجليه الخلفيتين فقط فأصبح أكثر ضخامة.. تعدى طوله الأربعة أمتار ومتبقي القليل من ذيله يجره على الأرض.

فزع الشابان من منظر هذا الوحش العملاق وأحسا باقتراب نهايتهما.. لكن حدث شيء غريب، تقدم أحد شباب "الجور" وصاح في وجه هذا الوحش، فأرتد الوحش إلى الخلف خائفاً ونزل على يديه وقدميه وأنكمش وهو يصدر صوت ضعيف كأنه يستسمحه حتى لا يؤذيه.. ثم عاد شاب "الجور" ونظر إلى الشابين وقال باستهزاء : « إنه من "الدرور".. إنهم جبناء. »

تعجب الشابان مما حدث .. كيف لكائن بهذا الحجم أن يكون جبان هكذا ؟!... فقالت "كوشي" لتوضح لهم :«"الدرور" خدم "الطوس".. ورغم حجمهم الضخم، ألا إنهم جبناء.»

لم يكن "سعيد" مهتم بمعرفة ما تقوله "كوشي" وسأل متعجباً وهو يشير إلى الشاب من "الجور" الذي تحدث معهم : « هذا... إنه يتحدث العربية... »

ردت "كوشي" : « هذا "ساود".. من عائلتي.. جميع عائلتي كلهم يتعلمون لغتكم.. ولكن أنا أفضلهم. » ثم أكملت بفخر :« فأنا معلمة اللغة عند "الجور". »

ضحك "سعيد" و"كوشي" وهما يتسامران معاً، وسار الجمع.. بينما "حسام" يسير وعينيه على الوحش الأصفر الجبان وهو يراقبهم أيضاً من بعيد.

في طريقهم وجدوا أشياء كثيره غريبه، وجدوا حيوان ضخم يشبه الصناجة يسير، يجلس فوق ظهره كائنات مختلفة فقال "حسام" مازحاً : « أعتقد أن هذا أتوبيس عام هنا. »

خرج الجمع من السوق ووصل إلى ممر ضيق لا يختلف كثيراً عن طريقهم الأول سوى أنه أكثر ظلاماً.. شعلات النار متباعدة، ويمتلئ هذا الطريق بممرات فرعية مظلمة على جانبيه ؛ مضت فترة قصيرة وهم سائرين في هذا الطريق قبل أن يدخلوا أحد الممرات التي على يمينهم، كانت ضيقة جداً ومظلمه فساروا فيها منفردين، ثم ظلوا يدخلون تفريعات أخرى حتى خرجوا إلى مكان واسع قليلاً ولكنه مسدود.. تقدم "ساود" إلى الجدار المقابل ودق عليه وتحدث بكلام غريب، فأجابه صوت آخر من

خلف الجدار، ثم بدأ يظهر شق كبير في الجدار، وما هي إلا ثواني حتى فُتح ممر كبير يقف أحد رجال "الجور" في منتصفه حاملاً شعلة في يده، قالت "كوشي" مبتسمة : « أهلاً بكم في مخبأ المتمردين. »

عبر الجميع الممر حتى وصلوا لحجرة كبيرة إضاءتها خفيفة وكان بها الكثير من "الجور" تبادلوا الترحيب والحديث مع "ساود" ومن معه وهم ينظرون للشابين ووجوههم متحمسة.. نظرت "كوشي" إلى الشابين قائله : «هؤلاء "الجور" الفارين من ظلم وسجون "الطوس".»

قال "حسام" مندهشاً : « هل يسجنونهم.. ؟ لديكم سجون في هذا العالم!. »

-: « نعم.. يعاملونهم معاملة قاسية في السجون ومن ثم يقتلونهم. »

غير "سعيد" الموضوع قائلاً : « على أي حال.. أين الزعيم الأن. »

نظرت "كوشي" إليه وقالت : « ليس هنا.. سنذهب إليه في القاعة. » ، ثم تقدمت نحو ممر ضيق يصل لقاعة كبيرة والشابان خلفها منبهران بهذا العالم السفلي، وكيفية بناء هذه المكان الضخم وسط هذه التجاويف الضيقة مخفياً عن الأنظار.

كانت القاعة كبيرة ويوجد في منتصفها مائدة حجرية ضخمه، ويوجد بعض رجال "الجور" في أماكن متفرقة.. وفي أخر القاعة وقف أحدهم يتحدث لجمع كبير أمامه وكأنه يخطب فيهم، أشارت "كوشي" على الخطيب قائله : « هذا هو الزعيم "حرود".» ، ثم اتجهت نحوه وتحدثت معه قليلا فأنهى خطبته وعاد معها نحو الشابين.. كان

"حرود" كبيراً في السن ويظهر عليه الضعف، لكنه يرتدي ثياب أنيقة بالنسبة لما يرتديه الآخرين من "الجور".

تقدم "حرود" اتجاه الشابين وصافحهما وتحدث معهم بالعربية، ثم أخذهم إلى ركن بالقاعة به كراسي ومائدة حجرية منحوتة من الصخور وعليها نقوش كثيرة.. وسألهم قائلاً : « أنتم أتيتم من العالم الآخر.. أليس كذلك ؟. »

رد "حسام" : « نعم.. سقطنا عليكم من فوق. »

قال "سعيد" مكملاً : « أعتقد أن عالمكم أسفل عالمنا مباشرةً.. أتمنى أن يكون هذا صحيحاً.. حتى نستطيع أن نجد طريق للعودة. »

قال "حرود" وهو يمسح ذقنه بيده مفكراً : « إذاً فأنتم كما علمت لم تأتوا من البحر.. على كل حال لابد وأنكم تلقيتم رسالة "أبن الخالدي". »

ما أن ذكر "حرود" الرسالة حتى تذكر "سعيد" شيئاً قد نسيه، فأسرع بإدخال يده في جيبه ليتفقد الورقة التي معه وهو يقول بصوت منخفض : « رسالة... » ، ثم نظر لصاحبه مبتسماً وقال : « إنها رسالة.. التي كانت في الزجاجة. »

قالت "كوشي" : « إنها رسالة سحرية من "ابن الخالدي"، لا يمكن لأحد قرائتها سوى أصدقائه من عالم البشر. »

قال "سعيد" متعجباً : « سحرية.. ماذا تعني... ؟!. »

قال "حرود" وهو يمد يده على المائدة بشكل غريب وسألهم وقد تغيرت نبرة صوته : « ألم تستطيعوا قراءة الرسالة ؟. »

أرتبك "سعيد" وهو يخرج الرسالة من جيبه بينما رد "حسام" مسرعاً :« بكل تأكيد استطعنا قراءتها.. نحن أصدقاء "أبن الخالدي" ونفهم هذه الرموز السحرية.»

قالت "كوشي" : « لكنكم تأخرتم كثيراً.. قد أرسلها منذ زمن أجدادنا. »

قال "حرود" وهو يفتح ذراعيه مبتسماً : « لكنكم أتيتم في الوقت المناسب.. بعد أن يأسنا من عدم وصولكم، قررنا أن نساعد أنفسنا بأيدينا... »

لم يكن الشابان مهتمان بكلام "حرود"، فقد أخرج "سعيد" الرسالة وفتحها مسرعاً.. نظر الشابان فيما كُتب بها وبدأ الاستغراب عليهم حيث كتب فيها باللغة العربية بخط غير واضح استطاعوا أن يفهموا منه...

{ أحذر هذا المكان .. لا تدخل أبداً .. خذ المخطوطات .. بها جميع الأخبار عن عالم من الجبابرة والوحوش .. ومخطوطات بها كتب عن العلوم والزراعة .. ويوجد بعض الحبوب للزراعة على الأرض ...

علي بن مسعود الخالدي }

صدمت الرسالة الشابان ورُسم الحزن على وجوههم وأحسا بالحسرة والندم بداخلهم لعدم قراءة الرسالة قبل دخول المغارة ؛ قطعت "كوشي" تفكيرهم قائلة : « غريبة هذه الرموز.. لا أعلم كيف تجعلونها تتحدث معكم. »

رد "سعيد" موضحاً لها : « إنها مجرد كتا..... »

قاطعه "حسام" بسرعة قائلاً : « إنها رموز سحرية لا يفهمها سوى عالمنا. »

سأل "سعيد" : « هل هناك أي مخطوطات أخرى ؟. »

ردت "كوشي" : « ترك "ابن الخالدي" الكثير منها، لكن استولى عليها "الطوس".. إنهم يفتشون عنها في جميع المنازل. »

قال "حسام" : « هل يحرقونها...؟. »

قال "حرود" : « لا.. إنهم يعطوها ل"الأرون". »

سأل "سعيد" : « يعطوها لمن.... ؟!. »

-: « "الأرون" . إنهم مقززون ، أجسامهم زرقاء باردة.. تتحكم فيهم ساحرة شريرة تدعى "هانور" زوجة الوزير. » ، تنهد "حرود" مغتاظاً وهو يكمل قائلاً : « طبقاً لقانون "يلعاد" الوزير يكون من "الأرون".. هؤلاء "الأرون" لديهم مكان ضخم يخبئون مخطوطات "أبن الخالدي" فيها. »

سأل "سعيد" : « وهل يفهمون الرموز السحرية التي فيها ؟!. »

-: « يعتقدون أنهم أذكياء ليعرفوها، لكن كما قال "أبن الخالدي" هذه رموز سحريه لا يعرفها أحد سوى شعبكم. »

قال "حسام" :«نعم.. ولكن ربما نزل أحد آخر من شعبنا وساعدهم على فهمها.»

قال "حرود" : « حسب معلوماتنا لم يأتي أحد من عالمكم هنا سوى "أبن الخالدي"، لقد عاش فترة مع "الطوس" و"الأرون"، لا أعتقد أنه كان ليساعدهم.. أخبرني جدي أنه كان متعاطف معنا، وكان يكره "الطوس" لأنهم طغاة.. » ، ثم أكمل محتنقً : « ليس لهم أن يحكموا شيء هنا.. إنهم حتى ليسوا من هذه الأرض !.. »

سأله "سعيد" متعجباً : « ليسوا من هنا !!.. ما معنى ذلك ؟. »

أجابت "كوشي" وهي تنظر للنقوش على المائدة : « منذ زمن بعيد كان هذا العالم لنا نحن الجرور.. وعاشنا مع الدرور والأرون في سلام متساويين وكذلك باقي المخلوقات الأخرى في هذا العالم.. كنا هكذا حتى وصل إلينا الطوس الحمر.. قبائل همجية كثيرة زعيمهم يدعى "يلعاد بن عابور".. كان صديق لساحر لم يره أحد مطلقاً، ساعده الساحر ليسيطر على عالمنا بالسحر والقوة، فجعلنا عبيد نصنع لهم ما يريدون ونزرع لهم ما يأكلون، وجعل عمالقة الدرور خدم لهم وذلوهم بأسلحتهم حتى أصبحوا جبناء، أما الأرون الضعفاء خانونا وتحالفوا معهم، ولذلك أصبحوا سادة ووزراء.... »

أكمل "حرود" قائلاً : « حتى من أتوا معهم من الغيلان اضطهدوهم وجعلوهم يعيشون مع الوحوش في أرض بعيدة تحيطها المخاطر تسمى أرض المنبوذين. »

ظل "حرود" يتحدث غاضباً عن ظلم "الطوس" لشعبه وقوانينهم العنصرية و"سعيد" منصت له باهتمام ويناقشه، بينما "حسام" لم يكن مهتماً كثيراً بما يقول فنظر إلى "كوشي" وسألها : « هل يوجد مياه في عالمكم هذا... ؟. »

ردت "كوشي" : « بكل تأكيد.. »

قال "حسام" : « من فضلك أريد أن أشرب. »

وقفت "كوشي" وأحضرت كوب كبير ممتلئ بالماء وقدمته له.. نظر "حسام" داخل الكوب قبل أن يشرب فوجد ماء لونه صافي ونقي ثم رفع الكوب لفمه وتذوقه قبل أن يقول منبهراً لصديقه : « إنه ماء بالفعل... »

قالت "كوشي" متعجبة : « وماذا كنت تعتقد ؟... إننا لا نشرب !. »

شرب "حسام" ثم أعطى الكوب لصديقه، وما أن شرب "سعيد" حتى سأل مستفسراً : « لديكم أنهار هنا ؟. »

رد "حرود" مستغرباً : « أنهار !.. ما هذه ؟!.. »

-: « قنوات بها المياه التي تشربونها.. صنعتها الأمطار. »

« تصل لدينا قنوات مياه من بحر جاحور. »

قال "حسام" وهو يضع يده على بطنه :«بكل تأكيد أنكم أيضاً تأكلون.. فأنا أشعر بالجوع.. لديكم طعام هنا !. »

قالت "كوشي" مبتسمة :«لا تقلق سوف نعود لمنزل "الجور" قبل موعد الأكل.»

ظل الشابين يتحدثون مع "حرود" مدة قصيرة، ثم ودعهم.. وغادروا مخبأ المتمردين عائدين مرة أخرى لمنزل الجور.

****

٥

فى ضيافة الجور

عاد الشابان مع "كوشي" ومن معهم إلى منزل "الجور".. وكان القائد العجوز واقفاً عند المدخل.. استقبلهم ورحب بعودتهم، ثم سار بهم اتجاه مائدة حجرية كبيرة تجمع حولها الكثير من "الجور".. جلس الشابان بجوار القائد وجلست "كوشي" أيضاً بجوارهما وقالت متحمسة : « وقت الطعام عندنا الأن.. أتمنى أن يعجبكم. »

مر وقت قصير.. أحضر نساء وأطفال "الجور" الطعام وامتلئ المائدة بأصناف كثيرة وغريبة من المأكل والمشرب، جلس الجميع وبدأوا في الأكل بشراهة مصدرين أصوات من أفواههم اختلطت مع أصوات تخبط الأكواب على الطاولة حتى بدا المشهد وكأنه ملحمة حربيه تتعارك فيها الأيادي وتطحن فيها الضروس.

مد "سعيد" يده والتقط كوب به شراب لونه أصفر، سأل "كوشي" عنه وأجابته قائلة : « إنه تخمير نبات "العجلون".. علمنا "أبن الخالدي" التخمير. »

إبتسم "حسام" وقال لصديقه : « يبدوا أن "أبن الخالدي" كان يهتم بنفسه جيداً. »

كان فوق المائدة أيضاً طعام أخضر اللون ومستدير يشبه الخبز.. وفي المنتصف أمام كل مجموعة وضع لحم مشوي يمدوا أيديهم ليقطعوا منه.. أشارت "كوشي" عليه وقالت

للشابين : « هذا لحم حيوان "الفدج".. أخبرنا "أبن الخالدي" إن مذاقه يشبه لحم الضأن عندكم. »

مد "حسام" يده ليتذوقه قائلاً : « ماذا ؟!.. أه... إنه جيد. »

ظل الشابان يأكلان وهما يسألان عما يأكُلا و"كوشي" تجيبهم حتى فرغا من الطعام، وبالفعل كان الطعام قد فرغ من على المائدة، فلم يتبقى عليها سوى أكواب فارغة ملقاه، وعظام متكسرة.

وقفت "كوشي" مع بعض نساء الجور وقاموا بتنظيف الموائد من آثار الطعام، وفي وقت قصير عادة الموائد نظيفة تماماً.. وعادت "كوشي" لتجلس على مقعدها بجوار الشابين ووجهها يهلل فرحاً وقالت مبتسمة : « الأن وقت الغناء !!. »

وقفت في منتصف القاعة إحدى نساء الجور، يُزين رأسها تاج ذهبي يلمع ومن تحته ينسدل شعرها الأبيض الطويل فوق كتفيها ليغطي صدرها.. وعلى الأرض بجوارها جلس بعض النساء يحملن آلات موسيقية غريبة صانعين حلقة حول المرأة في المنتصف، ووجوههم تتجه داخل الحلقة، وحولهن حلقة آخرى من نساء لا يحملن آلات موسيقية ولكن ينظرن إلى الجمع من حولهن.

بدأت المرأة في المنتصف بالغناء مفردة بصوت صافي وجميل، ثم أتبعها النساء اللاتي لا يحملن آلات، بدأن بعزف نوتات جميله بأفواههم متناسقة مع الغناء، كانت نوتات تشبه موسيقية جميلة، ثم بدأت الآلات في العزف، وعلا صوت المغنية في المنتصف ليظهر أكثر، وغط الغناء والموسيقي القاعة، وساد جو جميل في المكان.

كانت "كوشي" سعيدة بالغناء وبجوارها الشابان وقد آلفا الموسيقي وأحباها ونسيا كل ما حدث لهما، و"سعيد" ينظر متعجباً من "كوشي" التي كانت متحمسة وسعيدة وكأنها طفلة صغيرة في العيد.. بينما "حسام" كان يحاول أن يدندن معهم مقلداً غنائهم.

انتهى الغناء، وفقدت القاعة هذا الجو السائد من الفرح.. قالت "كوشي" حزينة : « انتهى وقت الغناء.. أكثر وقت أحبه. »

قال "حسام" : «جميل جداً.. لقد أحببته، رغم إنني لم أفهم أي كلمة مما قالوها. »

قالت "كوشي" : « إنها أغاني قديمة للجور.. لغة الجور القديمة قبل أن يأتي الطوس وينشروا لغة الفرعون.... »

انتبه "سعيد" لما قالته "كوشي" وقال مقاطعاً :«فرعون!. هل هم مصريون ؟. »

ردت "كوشي" متعجبة : « ماذا..؟! لا أعلم ما تقصده.. ولكن يقولون بأنها لغة سيدهم الأزلي الذي عرفهم بالساحر. »

-: « هل تعرفون من أين أتى هؤلاء ؟. »

-: « تقصد الطوس.. الجميع يقول إنهم فارين من وحوش ما وراء البحر. »

سأل "حسام" : « هل هم بشر؟.. يعني يشبهوننا !. »

قالت "كوشي" وهي تبتسم : « بكل تأكيد لا.. إنهم أضخم ولونهم أحمر. »

بدأ الجميع في الذهاب، حتى بدت القاعة خالية.. أشار القائد العجوز ل"كوشي" وتحدث معها وهو ينظر إلى الشابين، فوقفت وقالت لهم : « القائد "شيراد" طلب مني أن أوصلكم لحجرة خاصة حتى تستريحا بها. »

قال "حسام" : « ألن نذهب إلى المكان الذي سقطنا فيه ؟!.. »

قالت "كوشي" بتردد : « ولكن.. أنتم لا تريدون.... »

قاطعها "سعيد" وكان قد نهض من فوق كرسيه وقال مبتسماً : « بكل تأكيد سوف نذهب معك للحجرة.. فنحن بحاجة شديدة للراحة. » ،ثم مد يده يجذب صديقه معه.

تقدمت "كوشي" ومن خلفها الشابان يتهامسان معاً حتى وصلا إلى باب مغطى بقطعة قماش خضراء اللون، وبالداخل يوجد شعلة صغيرة مرتفعة ترسل ضوء خافت، وفُرشت أرضية الحجرة بأشياء ناعمة تشبه الريش ليتمكنا من النوم عليها.

أوصلتهم "كوشي" وهي في طريقها للخروج أوقفها "حسام" قائلاً بابتسامة خفيفة : « من فضلك... هل يمكنك إعطائنا الهاتف؟. »

ردت "كوشي" : « ماذا.... ؟!. »

قال "سعيد" موضحاً : « يقصد السلاح.. نحن أصدقاء الأن. »

قالت "كوشي" معتذرة : « للأسف لا يمكنني إعطائه لكم.. لأنه ليس معي، إنه مع القائد "شيراد".. ولا يمكنني أن أطلبه منه الأن، فهذا وقت الراحة. »

قال "سعيد" مبتسماً لها : « شكراً لك "كوشي" على كل شيء. »

ابتسمت له وهي تقول : « ناموا الأن فهذا وقت الراحة. » ثم انصرفت مغلقة قطعة القماش التي على الباب ورائها وتاركه الشابين بمفردهما.

قال "حسام" ساخراً من صديقه : « شكراً لك "كوشي" على اللا شيء. »

لم ينتبه له "سعيد" وسأل متعجباً : « لا أعرف كيف يحسبون الوقت.. فالظلام دائم هنا. »

رقد "حسام" على الفراش وقال لصاحبه : « وما الخطة الأن؟. »

جلس "سعيد" بجوار صديقه وهو يقول : « ليس أمامنا سوى أن نعرف ما فعله "أبن الخالدي" هذا للخروج من هنا. »

-: « لا أعتقد أن هؤلاء الخضر من ساعدوه.. فإنه لم يكن يثق بهم، وأرسل رسالة تحذير على إنها رسالة طلب مساعدة لهم. »

-: « ولكن الكهف الذي دخلناه يشبه مباني "الجور"... »

قال "حسام" متذمراً : « هذه المكان الغريب وهذه الأسماء الغريبة... "الجور" وغيرها. » ، وبدأ يتفقد جيوب بنطاله قبل أن يقول فرحاً : « مازالت علبة السجائر والكبريت في جيبي. »

أكمل "سعيد" فكرته قائلاً : « من المحتمل أن "أبن الخالدي" خرج مع مجموعة منهم وجعلهم ينتظرونه ليأتي بالمساعدة.. لكنه لم يعود، وبقوا هناك. »

قال "حسام" معترضاً على فكرة صاحبه : « أنت مجنون.. ألم يقولوا أن "أبن الخالدي" عاش مع الآخرين قبل أن يرحل؟.. لم يكن يثق في الخضر لذلك تركهم وذهب للآخرين ليساعدوه. »

-: « تقصد "الطوس"...؟ إنهم متوحشون. »

أشعل "حسام" سيجارة، وقال منفعلاً : «ماذا..؟ إنك حتى لم تراهم لتقول هذا. »

-: « لم تسمع ما قاله "حرود" عنهم .. ومعاملتهم للثوار. »

-: « إذا كانوا وحوش كان قتلوا هؤلاء الثوار... ولم يسجنوهم. »

-: « ما الذي تقوله.. ؟! أعتقد أنك تريد الذهاب إليهم. »

نفث "حسام" الدخان وقال بصوت منخفض : « لا.. ولكني لا أثق في هؤلاء الخضر. »

-: « وأعتقد أيضاً إنهم لا يثقون بنا.. لم يعطونا الهاتف، ولم يرسلونا للمكان الذي سقطنا به، حتى لا نعلم مكان اجتماعهم السري. »

-: «هذا ما يثبت كلامي.. "أبن الخالدي" تركهم وذهب للآخرين، لذلك لا يثقون في البشر.»

قال "سعيد" وكأنه يفكر مع نفسه بصوت مسموع: « ولكنهم أرسلونا لمكان اختباء الثوار.. وكذلك هم يحترمون "أبن الخالدي".. ويهتمون بمخطوطاته. »

-: « المخطوطات.. الغريب اهتمامهم بكتابات لا يفهمون منها شيء. »

-: « إنها تعتبر لديهم ككتب مقدسة. »

أعتدل "حسام" في جلسته وهو يقول : « أملنا الأخير في أن نكسب ثقة هؤلاء الخضر، لنحصل على الهاتف ونذهب لمكان التقاط الإشارة.. ولكن ماذا نفعل حتى يحدث هذا؟!.»

وضع "سعيد" نظارته الطبية على الأرض بجواره، وقال وهو يتمدد على الفراش: « لا نفعل أي شيء.. سنحاول أن ننام الأن. »

رقد "حسام" على ظهره ونظر للأعلى قائلاً : « لا أستطيع النوم.. أتمنى لو يعطونا بعض الدخان المنوم مرةً أخرى. »

****

٦

فى الأسر

أفاق "سعيد" على أصوات ضجيج خارج الغرفة، و"حسام" بجواره يغط في النوم فأيقظه.. الأصوات بالخارج لا تنم على خير والحركة تزداد باقتراب الصوت باتجاههم.. وما هي إلا لحظات حتى أقتحم الغرفة كائن أحمر اللون يشبه البشر، لكنه ضخم يتعدى طوله المترين والنصف، يرتدي دروع حديدية وخوذةسوداء كبيرة، وفي بيده سيف له أسنان كالمنشار.. ما أن وقعت عينيه على الشابين حتى نظر للخلف وصاح بصوت عميق ضخم يخرج من فمه الواسع.. فدخل الغرفة كائن آخر مشابه له ولكنه أطول منه ويبدو إنه قائدهم.. نظر القائد إلى الشابين، وقد رُسِمت على وجهه القبيح ابتسامه أظهرت أسنانه المدببة وانحنى لينظر إليهم عن قرب.. كان وجهه قبيح ومشوه لونه أحمر، وكذلك عيناه حمراوان غائرتان داخل رأسه وعينه اليمنى مغروسة أكثر في وجهه مما يجعل من يراه يظن بأنه أعور، بينما فمه الواسع تفوح منه رائحة كريهة تخرج من بين أسنانه البارزة.

تملك الفزع الشابين وأحسا بضربات قلبهم الشديدة تكاد تحطم صدورهم، وتجمدا مكانهما من الرعب ولم يستطيعا النطق، بينما هذا الكائن يقترب بوجهه أكثر منهم يحملق فيهم.. وفجأة وقف قائد الحمر وخرج من الغرفة وهو يصيح في جنوده، فتقدم اثنان منهم نحو الشابين، وكبلا أيديهم من الخلف وقادهما إلى خارج الغرفة.

وقف ينظر المئات من "الجور" بالقلعة في الخارج، بينما الحمر لا يتجاوز عددهم العشرة حراس مع قائدهم.. تقدم القائد عابراً القاعة الكبيرة لمنزل "الجور" وهو يهز السيف بيده، ورافعاً رأسه يتفقد الجميع من حوله، ويسير أمامه حارسين يدفعون على الأرض من يروهم من "الجور" في طريقهم.

كان مشهد مهيب والحمر يعبرون القاعة والشابان مكبلان في المنتصف يدفعهما الحرس.. والكثير من "الجور" ينظرون من على الجانبين ورؤوسهم محنية في ذل وضعف.. والشابان يلتفتان حولهما ويبحثان فيهم عن منقذاً لهم.. رأى "سعيد" بين الجموع "كوشي" واقفه فنادى عليها قائلاً : « ماذا يحدث "كوشي"...؟ ماذا يحدث...؟.»

لم تجبه وظلت واقفة تنظر بحزن إليهم بينما "حسام" يصيح غضباً : « هؤلاء الجبناء.. لن يساعدونا.. رغم إن عددهم يفوق الحمر مائة مرة. » ثم التفت يبصق عليهم فرأى "ساود" واقفاً بعيدا، صاح عليه قائلاً : « ماذا عنك أيها القوي..؟ أبقى مختبئاً حيث أنت أيها الجبان. » ، لم يرد "ساود" عليه ولم يتحرك من مكانه ولكنه ظل ينظر إليهم صامتاً وعينيه تشتعل غضباً.

عبر القائد وجنوده باب القاعة الكبير لمنزل الجور، خرجوا إلى طريق واسع، والشابان ينظران للخلف وكأنهما يبحثان عن بطل شجاع يأتي في أخر لحظة لينقذهما مما ينتظران أن يحدث لهما.

أنتشر الكثير من المخلوقات الضخمة الغريبة في الطريق.. أكثرهم من كائنات "الدرور" الصفراء الضخمة منحنية على جانبي الطريق تنظر للحرس بخوف شديد، وعيونهم تحدق إلى الشابين وكأنها تستهزأ بهم.. والشابان يسيران بذل وخوف لا يعرفان ما ينتظرهما ويراقبان ما حولهم من كائنات وأماكن غريبة.

قادهم الطريق إلى ساحة ضخمة احتشد بها الكثير من هؤلاء الحمر.. أبتعد الجميع ليفسح مجالاً لعبور القائد وحرسه وهم يتصايحون، ويضحكون، يهنئونهم بما فعلوا من إنجاز، وعيونهم ترسل رسائل رعب وخوف بداخل الشابين.

اقترب أحدهم من القائد وكان له حدبة كبيرة فوق ظهره ويبدو عليه كبر السن.. وقف يتحدث معه، وكأنه يدعوه لشيء والقائد متردداً وينظر للخلف مشيراً نحو الشابين.. ولكن العجوز أقنعه بما يريد.. سار القائد معه وسط الحشود والحرس من خلفه يسوقوا الشابين.. حتى وصلوا إلى مكان واسع يطل على حفرة دائرية كبيرة منخفضة عن الأرض بحوالي أربعة أمتار يجتمع حولها الكثير من هذه الكائنات الحمراء.. داخل الحفرة وقف كائنان يتصارعان لا يتجاوز طولهم المترين، وظهورهم منحنية، أيديهم طويله لهم مخالب حادة وأرجلهم قصيرة تشبه أقدام التمساح، لديهم

ذيل، يمتد الشوك من أعلى ظهورهم حتى أخر ذيلهم، يشبهون الشياطين ولهم قرون قصيرة.

أخرج القائد الأحمر كرات زجاجية صغيرة تلمع وأعطاها للعجوز.. كان هذا العجوز يدير رهانات للمصارعة.. كان الحشد جميعاً مهتماً بالمصارعة بما فيهم القائد وحرسه، ففكر الشابان سوياً في استغلال هذه الفرصة للهرب، لاكن حدث شيء مرعب أفزعهم جعلهم يتجمدوا مكانهم.. سقط أحد المخلوقان المتصارعان فانقض عليه الآخر بارزاً أنيابه ليمزقه بمخالبه ويخرج أحشائه ويأكلها بنهم، كان المنظر مقزز لدرجة جعلت الشابين يتجمدان مكانهما دون حركة.

كان القائد سعيداً بالنتيجة، قد كسب رهانه وقام جنوده بتحيته محدثين صخب عال.. اقترب العجوز منه ليعطيه الكرات اللامعة ولكن القائد أعادها وزاد عليها وهو يضحك لأنصاره وينظر لساحة القتال.

ظل في الساحة المخلوق المنتصر وأدخلوا إليه مخلوق آخر له صدفة كأصداف السلاحف يبرز منها سنون مدببة، وله قرنين ثور، وأنياب بارزة، وجسمه جسم ذئب قائم على قدمين، وله أذنين ذئب، وفي يديه مخالب معقوفة حادة.. ما أن دخل ساحة القتال حتى رفع رأسه وبدأ يعوي كالذئاب.. وتصارع المخلوقان بتحد كبير، وبدأ يعلوا صوت الحشود المتراهنة، وتشتت انتباه القائد وجنوده.. نظر "حسام" لصاحبه وقال هامساً : « هذه فرصتنا لنتسلل والجميع يتابع هذه المعركة... »

قال "سعيد" بتردد : « لكن... لكن إذا أحسوا بنا... »

قاطعه "حسام" : « في جميع الأحوال سيكون أفضل من الذهاب معهم.. وأنا أتذكر طريق العودة إلى الخضر... » ثم نظر للخلف فاصطدم بوجه شخص يقف خلفهم.. كان العجوز المسئول عن الرهانات يراقبهم واقترب منهم وتحدث بصوت مخيف عميق وكأنه خارج من باطن الجحيم قائلاً : « أهلاً بكم في عالم البادا. »

لم يأت الشابين بأي حركة، ولم ينطقا بحرفاً واحد.. أكمل العجوز قائلاً : « أنا أدعى "أجريمون" العجوز.. اعتبروني صديقكم في هذا العالم القاسي حتى تعودا إلى أرضكم !. »

سأل "سعيد" : « وهل تعرف أنت طريق عودتنا ؟!. »

شابك العجوز "أجريمون" أصابع يده وقال بصوته العميق : « بكل تأكيد.. هذا ما يريده الساحر.. يريدكم أن تصلوا له.. وهناك ستصلون لبيوتكم. »

سأله "سعيد" : « من هذا الساحر؟.. وما مصلحتك أنت لتساعدنا ؟. »

أبتسم "أجريمون" ابتسامة باردة مخيفة مثل كلامه وقال : « قلت لكم اعتبروني صديق. »

نظر "حسام" في وجه "أجريمون" ويديه خلف ظهره مربوطة بالحبال ورسم ابتسامة ساخرة على وجهه وقال : « رجل مراهنات يعطي نصيحة دون مال أو مصلحة لأشخاص لا يعرفهم.. لا أستطيع تصديقك.. أعتقد بأن هذا نخ. »

انحنى "أجريمون" أكثر ليجعل وجهه مقابل لوجه "حسام" وقال : « مصلحتي هي مصلحة الساحر.. فأنا أثق به وأخدمه.. وهو يريد أن يساعدكم. » ، ثم ابتعد ونظر إلى

"سعيد" أيضاً وأكمل قائلاً : « وبالطبع هناك مقابل.. قطعة ثمينة.. ملك للساحر.. سُرِقت منه وتوجد هنا في مكان ما، ويريد منكم أن تعيدوها إليه. »

قال "حسام" مستهزأً : « لم يستطع ساحرك إيجاد قطعته الثمينة بكل ما يملك، ونحن من سيجدها.. في عالم لا نعرف شيئاً عنه. »

رجع "أجريمون" للخلف وقال في تحد : « سوف تعثرون عليها.. إنه يعلم ذلك.. لقد جعل مني أنا... » ، ثم رجع "أجريمون" للخلف وكشف عن ساقه اليمني وكانت مبتورة وثُبت مكانها ساق خشبية وأشار لها وهو يقول : « ولدت بساق واحدة والساحر من ساعدني وأعطني هذا العمل، وكل هذا المال والاحترام .. أنني أثق به، وعليكم أن تثقوا به أيضاً. »

سأله "سعيد" : « وهل رأيت هذا الساحر ؟. »

-: « لا.. ولكنه يرسل رسله لي.. يرسلهم لي أثناء نومي ليرشدوني.. ويخبروني بما يريده مني لأصنعه وهو يحافظ على بقاء عملي والحفاظ على مالي.. علمتني رسله لغتكم منذ وقت طويل وبالأمس فقط أخبرني عنكم ولم يكن هناك من يعلم شيئاً عن وجودكم هنا.. وأخبرني بأني سأراكم لأبلغكم رسالته.. والأن أنا معكم كما بلغني.» ، أخفض "أجريمون" صوته وهمس بصوت يكاد يكون مسموع وقال : « يعرفون كل شيء يحدث هنا..» ، ثم نظر حوله وللأعلى بشكل مخيف وأكمل قائلاً : « بأعينهم السحرية!!. »

انتهى القتال والقائد غاضب لخسارته الرهان، التفت يصيح في جنوده يأمرهم بالمغادرة.. انتفض "أجريمون" العجوز وقال للشابين بسعادة : « أترون.. لقد زاد مالي بسبب تنفيذ أوامر الساحر.. الأن تذكروا كلامي وتذكروا وعد الساحر لكم أيضاً. »

ذهب "أجريمون" للقائد يتحدث معه ليثنيه عن الذهاب ومواصلة الرهان، ولكن القائد خرج ولم يبالي بالعجوز وهو يترجاه للانتظار.

همس "حسام" لصديقه قائلاً : « هل تصدق كلام هذا العجوز المخيف ؟. »

رد "سعيد" قائلاً : « أنه رجل مختل.. رغم أن هناك أشياء كثيرة غريبة في كلامة.. ولكن لا يهم فيكفي ما نحن فيه الأن، والمكان الذي يسوقونا إليه. »

قال "حسام" : « لكني أشعر بإحساس غريب.. ففجأة أصبحنا مهمين للخضر وللساحر وبكل تأكيد لمن يأخذنا له هؤلاء الحرس.. لا أعتقد بأنهم يريدون قتلنا وإلا كانوا فعلوا. »

تقدم القائد حرسه خارج ساحة القتال ولم يسيرا طويلاً حتى وصلوا إلى سور مبني من الصخور يتعدى طوله الثمانية أمتار يمتلئ بمشاعل تضيئه.. في وسط السور بوابة ضخمة من الحديد وأمامها يقف حرس كثير من الحمر وبجوارهم حيوانات ضخمة يغطيها فرو أبيض طويل تشبه الدببة القطبية، ومسلسلة بإحكام شديد من رقبتها بسلاسل من حديد مثبته في الصخور السور.. ثارت هذه الحيوانات باقترابهم منها وأصدرت زئير مخيف وكادت أن تهجم عليهم، فانتصب أحد الحرس الواقفين على البوابة وكان يحمل

شعلة في يده فلما رأى القائد توجه للحيوانات وأسكتها وبدأ يحرك الشعلة أمامها بشكل غريب حتى هدأت وجلست على الأرض.

تقدم القائد نحو البوابة وصرخ بصوت عال.. وما هي إلا ثواني حتى بدأت البوابة تفتح ببطء محدثة صوت صفير حاد.

****

٧

قصر الملك

عبرا الشابان البوابة وهما يتفقدان ما خلفها بذهول وأدهشهم رؤية حيوانات ضخمة خلف السور تشبه الماموث، مدرعة بحديد وتجر سلاسل عملاقة تفتح بها البوابة.

ساروا خلال ممر طويل واسع، على جانبيه مشاعل مزخرفة على شكل أفعى.. والشابان يلتفتان حولهما ليتفقدا المكان بأعينهم، ورأوا أشجار كبيرة وراء الممر، يصلها بصيص ضعيف من الضوء، ظن "حسام" للحظة أنها تتمايل بشكل غريب وظل يراقبها حتى انتهى بهم الممر لجبل كبير منحوت به مدخل ضخم.. واجهة الجبل نُحتت عليها تماثيل كبيرة تبدو لملوك قديمة ويعلوا رؤوسهم تيجان.. وبالمدخل أربعة أعمدة مزخرفة ومنحوت عليها أفاعي مختلفة وملونه.. وربط بالأعمدة حيوانات ضخمة تشبه الذئاب أنيابها تبرز من فكها، وبُلمت أخطامها بلجام من حديد، تمتلئ أجسامهم بجروح من أثر ضربهم بالسوط، لترسم خطوط حمراء دامية وسط فرائهم الداكن.

عبر القائد المدخل فبدأت تهيج الذئاب العملاقة ويعلوا صوت زمجرتها بشكل مخيف وكادت تقطع السلاسل لتفتك بهم، تجمد الشابان مكانهما خوفاً منها ولكن الحارسان

في الخلف يدفعانهما إلى الأمام حتى أوصلاهما إلى دهليز ضيق معتم قليلاً، لا يوجد الكثير من المشاعل على الحائط وكذلك تبعث منه رائحة نتنة.

قادهم الدهليز إلى حجرة كبيرة بها حرس كثير.. سار القائد ومن معه إلى نهاية الحجرة وصولاً لباب خشبي كبير مزين بنقوش غريبة، وقف عليه حارسان ضخمان لونهما أحمر غامق يكاد يميل للسواد.. تقدم القائد نحوهما ففتحا الباب مسرعين له ومن خلفه الشابان يدفعهما الحارسان، ولم يدخل سوى القائد والشابان وحارسان اثنين فقط وظل الباقون في الخارج.

المكان بالداخل عبارة عن قاعة كبيرة يطغى عليها اللون الأحمر، يوجد بها مشاعل كثيرة لإضاءتها، ويوجد كذلك أثاث حجري ضخم منحوت من صخور ومُزخرف بدقة عالية ليدل على فخامة المكان، على يمينهم مائدة حجرية كبيرة قوائمها منحوتة على شكل حيوانات تشبه الضفادع واقفة على قدمين، وتحمل قرص حجري كبير بيضاوي الشكل، تزينه الزخارف والرسومات، وعلى اليسار يوجد كراسي وتماثيل كثيرة، وبعض الموائد الأخرى صغيرة الحجم، وأمامهم في المنتصف ممر على جانبيه كراسي كبيرة يصل في نهايته إلى عرش ضخم فوق منصة مرتفعة.

سار القائد والشابان من خلفه عبر الممر وكانت أرضيته سوداء صلبة مزخرفة بخطوط ودوائر غريبة.. في أخر الممر درجات سلم تنتهي بعرش ضخم على جانبيه تماثيل كثيرة وأعلى العرش مباشرة تمثال لرأس أفعى ضخمة، وأسفل منها يجلس الملك على العرش..

رغم كون الملك من الطوس إلا أنه أضخم منهم، ويعلوا رأسه الأحمر تاج مصنوع من زجاج يزداد بريقاً ولمعاناً على ضوء مشاعل النيران الكثيرة داخل القاعة.

صعد القائد الدرج باتجاه الملك وتحدثا معاً بينما الملك رأسه متجه نحو الشابان يحدق بعينيه الحمراء لهما أسفل الدرج.. الشابان يتصببان عرقاً بسبب الخوف وكذلك لسخونة الجو داخل القاعة لكثرة النيران المنتشرة بها، وقد وقفا منبهران من غرابة هذا المكان وضخامة هذه المخلوقات من حولهم فقال "حسام" لصديقه وهو يشير برأسه اتجاه ملك الحمر : « هل هذا الشيطان ؟!... »

ما أن أنهى "حسام" جملته حتى أبعد الملك القائد بيديه من أمامه ونظر إلى الشابين وقال بصوت ضخم : « أبن الخالدي... » ، ثم وقف من على كرسيه ونزل نحوهم ببطء، وظهر مدى ضخامته بالنسبة للقائد فطوله يتعدى الأربعة أمتار وذراعه ضخمه جداً، يغطي الحديد معصميه وكذلك رقبته، ويوجد سلاسل كثيرة حول صدره، لا يرتدي سوى قطعة جلد تبدو قيمة يلفها حوله من منتصف بطنه حتى ركبتيه.. هربت الدماء من على وجه الشابين من شدة الخوف وتملكهما الرعب مع اقترابه منهم، همس "سعيد" في خوف معاتباً صديقه : « لماذا تحدثت ؟... »

نزل الملك واقترب منهم فظهرت بشاعة وجهه وظهرت أسنانه المدببة وهو يبتسم قائلاً بصوته المخيف : «أهلاً بكم.. انتظرناكم كثيراً.. ولكنكم ذهبتم إلى المكان الخطأ.»

وقف الشابان مذهولان غير قادرين على النطق ولا يقدرا أن يستفسرا منه عما قاله.. أمر الملك الحراس ليفكا وثاق الشابين وهو يكمل حديثه معهما : « متأسف لما

أصابكم... » ، ثم أشار لهم إلى ركن في القاعة به كراسي كثيرة وقال لهم : « تعالوا نتحدث هناك. »

ذهب الملك ومن خلفه الشابان والقائد متوجهين للجلوس حيث أشار.. جلس الملك على كرسي وبجواره القائد ودعا الشابان للجلوس على كراسي مقابلة له.. كانت الكراسي ضخمة، وجد الشابين صعوبة في تسلقها والجلوس عليها.. ما أن جلسا الشابان حتى وقف الملك ثانية وفتح ذراعيه وهو يقول مفتخراً : « أهلاً بكم في أرض مملكتي.. أرض الطوس.. أنا "زيغ بن يهول" حاكم أرض البادا الجبارين.. حفيد المعظم "يلعاد الكبير". » ثم جلس على الكرسي وهو يكمل كلامه : « بما أنكم رُسل "أبن الخالدي" إذاً أنتم ضيوفي.. أعتقد أن صديقنا "أبن الخالدي" حدثكم عن مملكتنا وعن "قانون يلعاد" في رسائله السحرية.»

تعجب الشابان من ذكر رسالة "أبن الخالدي" في هذا المكان أيضاً وظلا صامتين يفكرا.. هز الملك رأسه وهو يقول غاضباً : « لماذا لا تتحدثان ؟. »

قال "سعيد" بخوف، وصوت منخفض جداً : « كم رساله أرسلها "أبن الخالدي" إلينا ؟!. »

-: « لقد حاول أرسال الكثير من أجل أن يساعدنا... » أكمل الملك وهو ينظر للأعلى اتجاه رأس الأفعى : « يساعدنا في الوصول إلى سيدنا الأزلي. »

قال "سعيد" : « كيف أرسل هذه الرسائل إلى عالمنا؟. »

صمت الملك قليلاً يتذكر قبل أن يقول : « أخبرني أبي عن هذا الرسائل... قال أن "أبن الخالدي" صنع آلات من الحديد يستخدمها "الجور".. ويرسله إلى أماكن حددها هنا.. وكان يرسل معه الرسائل بالإضافة لمعدات حفر.. ولكن جميع من أرسلهم عادوا لنا مرة أخرى ولم يصلوا لشيء ماعدا ثلاثة فقط لم يعودوا أبداً.. ولكنه لم يكن متأكد من أنهم وصلوا أم لا... » ، ثم جلس الملك وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مخيفة وأكمل قائلاً : « ولكن بوصولكم هنا.. هذا دليل على وصول رسائله إليكم.. أليس كذلك ؟!. »

قال "سعيد" : « نعم.. وصلتنا إحدى رسا.... »

قاطعه الملك وقال متلهفاً : « إذاً أنتم تعرفون طريق الوصول لسيدنا الآزلي. »

لم يفهم الشابان ما يقصده الملك فلم ينطقا، ولكن صمتهما حول وجه الملك المتلهف لعبوس مخيف، فبادر "سعيد" قائلاً : « للأسف لا.. وكذلك لا يمكننا العودة لعالمنا. »

لم تكن إجابة "سعيد" ما ينتظرها الملك فصاح غاضباً : « ماذا تقول ؟!... وصلتم هنا ولا تستطيعون العودة.. كيف هذا ؟!. »

رجع الشابان للخلف فوق كرسيهما خائفين، وبدأ "حسام" بتردد يشرح للملك ما حدث وهو يقول : « لقد سقطنا.. سقطنا من مكان عال، ربما من باب صنعه من أرسله "أبن الخالدي".. من الصعب الوصول إليه مرة آخرى.. إنه في مكان يسمى.....»

قاطعه "سعيد" قائلاً : « مكان مظلم.. وهذه الفتحة في عالمنا مرتفعة جداً فوق عالمكم.»

أحنى الملك رأسه الضخم ليدفنه بين يديه وقال بحزن : « كل ما فعله "أبن الخالدي" لا فائدة منه الأن.. كل ما فعله ليساعدنا في الوصول لسيدنا الأزلي.. » ، ثم رفع رأسه فجأة وبرزت عيناه ونظر إلى الشابين وقال بحماس : « أنتم ستساعدوننا.. للوصل لسيدنا الأزلي، وكذلك لتعودوا لعالمكم.. أليس كذلك أصدقائي ؟.. »

قال "حسام" : «بكل تأكيد.. فسوف نتبع ما قام به "أبن الخالدي" ليعود لعالمه..»

رد الملك مستغرباً : « ماذا ؟!.. ولكن "أبن الخالدي" لم يستطيع العودة لعالمه.. لقد عاش معنا ومات هنا.. ولم يعود لعالمه أبداً. »

قال "سعيد" : « لكن "الجور" قالوا غير ذلك.... »

قاطعه الملك وصاح غضباً : « "الجور" كاذبون لا تصدقوهم أبداً.. "أبن الخالدي" كان صديقاً لنا نحن "الطوس" وعاش معنا.. الجور الحمقى يتوهمون الأشياء. »

قال "حسام" ليهدأ من ثورة الملك : « بكل تأكيد.. نحن نعرف أنهم كاذبون من رسائل "أبن الخالدي" لنا. »

هدأ الملك من ثورته، وقال : « قوم الجور ناكرون للجميل.. كانوا مجموعة حيوانات حتى وصل إليهم أجدادنا.. كانوا يعيشون على الصيد.. وما تجود لهم الأرض من زرع لا يزرعونه.. نحن الطوس من علمناهم الجلوس على موائد الطعام، وعرفناهم الزراعة

وحفر الأنهار.. كانت جميع قبائل هذا العالم مجرد حيوانات ماعدا الأرون.. كانوا أذكى من الباقين لذلك نجعل وزير الملك من شعب الأرون. »

قال "سعيد" : « إنهم يشتكون بأنكم تسخرونهم لخدمتكم. »

رد الملك غاضباً : « إنهم لا يشكرون أبداً.. إننا نقوم بحمايتهم من وحوش ما وراء البحر وكذلك من هجوم المنبوذين عليهم.. إن قيامهم بأعمال لنا تعتبر مقابل حمايتهم.. فلولا جنود الطوس لافترستهم الغيلان وجميع الوحوش في أراضي المنبوذين، لكل منا عمل في هذا العالم، نحن نقوم بعملنا ونحميهم دون راحة أو تذمر، وهم لا يريدون القيام بعملهم.. هذه هي القوانين.. وهم يعرفون هذا جيداً.. ولكنهم ينكرون. »

قال "حسام" مؤيداً للملك: «بكل تأكيد خدمتهم لكم شيء بسيط مقابل حمايتكم لهم.»

ابتسم الملك من رد "حسام" ثم التفت إلى القائد ووقفا يتحدث معه.. بينما قرب "سعيد" رأسه من صديقه وهمس إليه معاتباً : « مقابل بسيط !... هل أنت مقتنع بما تقول ؟!.. »

أقترب "حسام" منه أكثر وأشار بعينيه للملك وقال بصوت خافض : « هل تجرأ على أن تقول خلاف ذلك هنا.. أن الخضر أنفسهم سيقولون هذا الكلام في حضرة هؤلاء الوحوش.»

غادر القائد القاعة بمجرد انتهاء حديثه مع الملك، وتبعه الحارسان.. فعاد الملك وتحدث إلى الشابين وهو يشير للقائد قائلاً : « هذا أخي "عوش" قائد الحرس.. أنه لا يعلم لغتكم. » ، ثم أكمل الملك قائلاً : « إنه أخي الأكبر لكن أمه من "الطوس".. أما

أنا فأبن الملك "يهول" وأمي من "الأرون" أعتقد أن في رسالة "أبن الخالدي" وضح تقاليد الحكم هنا. »

-: « للأسف لا.. لم تصلنا هذه الرسالة. »

قال الملك شارحاً لهم : « أن أبناء الملك من نساء "الطوس" لا يصبحوا ملوك، ولكنهم يكونوا قادة.. بينما وريث عرشه يكون أبنه من زوجته التي من شعب "الأرون".. ولا يجوز لأحد في عالمنا أن يتزوج من جنس آخر سوى الملك فقط.. ومن يخالف هذا يقتل طبقاً لقانون يلعاد المعظم. » ،ثم اعتدل الملك وأكمل كلامه بابتسامة : « أنا سأتزوج من "إينورا" أبنت الوزير "ماروب".. ولكني أنتظر كي لا أنجب ولد يتعجل موتي. »

كان الملك ثرثار كثير الكلام، ظل يحدثهم عن "أبن الخالدي" واختراعاته مثل الدخان المنوم، وقدرته على التحكم بالنار، وكذلك اهتمامه بالنباتات التي لديهم، وكذلك الحيوانات، وأنه قام بعمل رسائل يشرح فيها كل هذا.. والشابان يجاوبان الملك بكلمات بسيطة حتى لا يغضب من سكوتهم.

****

٨

الوزير

كان الوقت يمر بطيئاً جداً على الشابين والملك مازال يتحدث معهم حتى سمعا صوت طرقات على باب القاعة، أجاب الملك ففُتح الباب ودلف منه أحد الحرس وخلفه ثلاثة من "الدرور" الضخام والذي بدا الحارس الأحمر كالقزم بجوارهم.. كانوا يحملون أصناف من الطعام وبدأوا في وضعه على المائدة الحجرية الضخمة المقابلة لهم في الجهة الأخرى من القاعة.

نهض الملك من فوق كرسيه ودعا الشابين لتناول الطعام معه، وذهب متجهاً نحو المائدة.. قفز "سعيد" من فوق كرسيه واقفاً على الأرض و"حسام" خلفه يهمس في أذنه ممازحاً : « هذا طعام الفطور أم الغداء ؟. »

رد "سعيد" وقد رُسمت ابتسامة على وجهه : « بالتأكيد الغداء.. لا يوجد نهار هنا. »

سبقهم الملك وجلس فوق كرسي ضخم على رأس المائدة وكان بجواره منضدة صغيرة، خلع التاج من فوق رأسه ووضعه عليها فانكشفت صلعته الحمراء وهي تلمع على ضوء نيران الشعلات، وأصبح وجهه أكثر رعباً وهو ينظر للشابين بابتسامته المخيفة، ويتعجلهما للحاق به على المائدة.

أسرع "سعيد" في خطواته باتجاه المائدة وخلفه "حسام"، أشار لهم الملك ليجلسوا على يمينه، صعد "سعيد" على كرسيه، بينما وقف "حسام" منبهراً ينظر بإمعان شديد لقوائم مائدة الطعام، كانت منحوتة على شكل ضفادع تقف على قوائمها الخلفية، بينما ترفع القرص الحجري بيديها، وظهرت دقة النحت في إظهار تعابير التعب الشديد على وجوه التماثيل، وتمنى "حسام" في هذه اللحظة لو أن هاتفه معه ليصور هذه التحفة الرائعة.

قطع تفكيره الصوت الضخم للملك وهو ينحني ناظراً إليه : « لقد صنعها "الجور".. هؤلاء الحمقى لم يصنعوها كما طلبت منهم. » ؛ ثم أمره الملك بالجلوس بجوار صديقه لتناول الطعام.

صعد "حسام" بصعوبة على كرسيه المرتفع ثم جلس ناظراً للطعام.. كان "الدرور" لا يزالون يرتبون الطعام فوق المائدة، ما أن انتهوا حتى أشار الحارس لكائنات "الدرور" الثلاثة فوقفوا بعيدين عن المائدة لا يتحركون وكأنهم تماثيل صفراء اللون، بينما هرول الحارس ليقف منحنياً وراء الملك.

كان الطعام كثير جداً فوق المائدة.. أشار الملك بيديه نحو طبق ضخم ممتلئ بقطع من اللحم وقال : «تذوقوا هذا اللحم.. لا أعتقد بأنه لديكم مثله في عالمكم. »

قال "سعيد" : « لكننا تذوقنا اللحم في عالمكم.. عند "الجور". »

ضحك الملك ضحكة صاخبة ومخيفة وقال : « "الجور" يأكلون لحم الفدج، أما الذي أمامكم فهذا لحم حيوان الخالد.. لا يقدر الجور على صيده، حتى يمكنهم أكله.. نحن فقط من نربيه لدينا في حظائرنا. »

قال "حسام" : « وكيف يكون أسمه الخالد وأنتم تأكلوه !.. »

انفجر الملك ضحكاً ويده تخبط على المائدة بقوة وقال : « هذا أسمه في كلام "البادا".. لا أعلم ماذا يكون اسمه في لغتكم؟!. » ؛ ثم فتح الملك ذراعيه وهو يقول : « نحن لدينا أفخر أنواع الطعام هنا.. لا تذكروا أكل هؤلاء الجور الحمقى هنا مرة أخرى. »

كانت المائدة ممتلئة بهذا اللحم وقد قُطع شرائح ضخمة، أسفل منها يوجد نبات يشبه قرون الفول ولكنها كبيرة عنه قليلاً.. شاهد "حسام" الملك يفتح الغلاف الأخضر لهذا النبات ويخرج منه حبوب حمراء ويأكلها، فمد يده وتذوقه.. بدأ مذاقه لاذعاً قبل أن يتحول للحلاوة في نهايته، مد يده ليأخذ واحدة أخرى فقال له الملك محذراً : « لا تأكل المزيد منه.. فهذا نبات "ه بران".. الإكثار منه ليس جيداً بالنسبة لك. »

كان يوجد أيضاً فوق المائدة ثمرات فاكهة، ونباتات غريبة وضخمة.. بعضها دائري ذو قشرة ناعمة، وآخري يحيطها أشواك مدببة.. أشار الملك للحارس خلفه فتقدم، وفي يده سكين كبير، رفع ثمرة دائرية أكبر قليلاً من البطيخ وقسمها نصفين وضع نصفاً أمام الملك والنصف الآخر أمام الشابين.. تذوقها الشابان وقد بلغ الاندهاش لديهم مبلغه، فكانت الثمرة من الداخل مقسمه إلى ستة أقسام متساوية لكل منها لون ومذاق مختلف تماماً عن الأخرى.

الأكواب فوق المائدة ذهبية، كان الكثير منها ممتلئ بالماء بينما الباقي فارغ.. رفع الملك أحد الأكواب الفارغة للحارس فتقدم وبيده نبات طويل أزرق اللون في أخره زهرة منتفخة وبدأ يعصرها داخل الكوب لتسيل سائل أصفر اللون.. وبدأ الملك في

شربه ثم نظر إلى الشابان وقال لهم : « لا أشرب الماء أبداً.. الملوك لا يشربون إلا عصارة زهرة اليوس. »

كان الشابان لا يأكلان سوى اللحم وقليلاً ما يمدان أيديهما إلى غيره.. وإذا هم منهمكون في الأكل سمعوا طرقات على باب القاعة وصوت يبلغ الملك بقدوم أحد.. رفع الملك رأسه وأجابه بالدخول.. فُتح الباب ودلف منه شخص غريب تقدم نحوهم، نظر الملك إلى الشابين وقال وهو يشير للقادم : « هذا وزيري "ماروب".. أذكى شخص في أرض الجبابرة.. كما ترون إنه من "الأرون". »

همس "سعيد" مذكراً نفسه بما أخبرته "كوشي" عنهم : « "الأرون".. الزرق.. الساحرة..»

اقترب الوزير منهم، وقدم التحية للملك، ثم دعاه الملك لمشاركتهم الطعام.. "الأرون" باستثناء بشرتهم الزرقاء يكاد يكونوا أكثر شبهاً للإنسان في هذا العالم، طولهم لا يتعدى المترين، لهم آذان طويلة قليلاً، وأنوفهم عريضة ولهم فم صغير.. كان الوزير يلبس ملابس فخمة بها ألوان زاهية كثيرة جميعها درجات من اللون الأزرق، ملابسه مصنوعة من مادة تشبه الحرير، على عكس باقي كائنات هذا العالم ترتدي الجلود، له أكمام طويله يخفي يده بداخلها، ويضع قطعة قماش مزخرفة حول رأسه تضم شعره الأبيض الطويل المنسدل على أكتافه.

جلس الوزير فوق كرسي مخصص له على يسار الملك في مواجهة الشابين، ورفع أكمامه الطويلة ليكشف عن يديه، رغم أن يداه طويلتان ألا إنهما ضئيلتان جداً،

ولونها ازرق فاتح وله أصابع طويلة، وضع يده على المائدة وظل يشابك أصابع يداه ويحركهما، ولم يمد يده ليأكل أي شيء.. ظل الوزير محدقاً بعينيه إلى الشابين وقال باللغة العربية بصوته الهادئ : « لا أستطيع أن أصف لكم شعوري برؤيتكم هنا.. لقد اشتعلت حماساً حينما أخبرني القائد "عوش" بوجودكم هنا عند ملكنا المعظم "زيغ بن يهول".. وقدمت مسرعاً إلى هنا.. فأنا ما زلت لا أصدق أنني أراكم الأن... »

قال الملك والطعام يتساقط من فمه : « صدق يا "ماروب".. أن "أبن الخالدي" هو من أخبر أباءنا بقدومهم.. وقد صدق. »

كان الشابان يسمتعا إلى حديثهما ولم ينطقا بكلمة واحدة.. و"حسام" يراقب مندهشاً عين الوزير.. فلديه حدقة عين بيضاء ضيقة تشبه عين السمك وتتحرك بشكل غريب، وكذلك أصابع يده يحركها لتتشابك معاً بشكل يثير القلق.

قال الوزير للشابين : « أنا أدعى "ماروب" من شعب "الأرون".. والأن بماذا ندعوكم.»

بدا السؤال غريباً على الشابين في هذا العالم، فمنذ أن سقطا تحدثا مع أشخاص عديدة ولكن أحداً لم يسألهم هذا السؤال من قبل.. رفع "سعيد" نظره باتجاه الوزير وقال: « انا "سعيد"... وهذا "حسام" من مصر... أه... فوق الأرض. »

أعاد الملك الأسماء قائلاً : « "سعيد"... وحُس... "حسام"... من مصر. »

مد الوزير يده ليصافحهم قائلاً : « أهلاً بكم "سعيد" و"حسام" في عالمنا في أرض البادا.»

كانت هذه أول مصافحة باليد للشابين مع أحد في هذا العالم.. وكانت يد الوزير باردة، ورطبة تكاد تكون مبللة، شعرا الشابان بالتقزز من مصافحته، وسحبا أيديهما من يده بسرعة كبيرة، وما أن سحب "حسام" يده بدأ يمسحها في ملابسه.. قال الوزير بصوته الهادئ وهو يبتسم : « هذه مصافحة عالمكم.. نحن ليس لدينا مصافحة معتادة هنا. »

انتهى الملك من الطعام، فأشار بيده للحارس الواقف خلفه.. فسارعت كائنات الدرور الثلاثة بحمل ما تبقى من طعام فوق المائدة.. وقبل أن يخرجوا من القاعة أوقف الملك الحارس وتحدث معه قليلاً قبل أن ينصرف.. وقال الملك للجميع : « لقد أرسلت للقائد "عوش" ليهيأ لنا موكب.. سنذهب جميعاً للخارج. » ،ثم وقف وذهب إلى ركن بعيد في القاعة، وترك الوزير يتحدث مع الشابان.

جلس الوزير يتحدث معهم عن "أبن الخالدي" وعلاقته مع شعب الأرون، وكذلك تعلقهم به وبعلمه، وكان "أبن الخالدي" يحبهم لكونهم الأكثر ذكائاً مثله.. وكذلك أخبرهم الوزير عن أشياء كثيرة حول عالم البادا وقصص عن وجودهم.

عاد الملك وقد ارتدى درع دائري لامع فوق صدره، ورفع تاجه الزجاجي من فوق المنضدة وثبته على رأسه الضخم وقال : « هيا بنا لا أريدكم أن تتأخروا.. فنحن ذاهبون إلى أرض الأرون.. إلى المكتبة. »

قال "سعيد" متعجباً : « هل يوجد لديكم مكتبة هنا ؟!. »

أجاب الوزير وقد أخفى يديه مرة أخرى داخل أكمامه : « نعم.. في أرض الأرون توجد مكتبة عملاقة.. فنحن متحضرون مثلكم. »

سأل "حسام" : « وهل يوجد هناك كتب سحرية ل"أبن الخالدي" ؟!. »

قال الملك وهو يعدل السلاسل حول صدره : « يوجد الكثير من الأشياء الخاصة ب"أبن الخالدي" هناك.. وله غرفة في المكتبة سوف تعيشون فيها هناك. »

أبتسم الوزير وهو يقول : « كان منزله عندنا، ولذلك أتمنى أن تعيشوا معنا في مكانه.. ففي حجرته كل ما ترك من كتب ومخطوطات سحرية، وفي مكتبتنا جميع ما أضافه لنا من علوم ومعرفة، وأعتقد أنكم أيضاً سوف تضيفوا لها علمكم واختراعاتكم.. أليس كذلك ؟. »

قال "حسام" مرتبكاً : « بكل تأكيد... فنحن نعرف أشياء كثيرة. »

قطع حوارهم دخول القائد "عوش" للقاعة وقام بتحية الملك وأخبره بأن موكبه على استعداد للخروج.

****

٩

إلى أرض الأرون

غادر الملك القاعة وسار القائد "عوش" بجواره وأمامهم بعض الحرس، بينما الوزير والشابين في الخلف.. مروا بحجرة الحرس.. الجميع ينحني للملك، حتى وصلوا إلى الساحة الكبيرة أمام مدخل القصر، وقف هناك الكثير من الحرس، وفي المنتصف حيوان ضخم يغطيه شعر أسود مسلسل بسلاسل من حديد تتخلل شعره الكثيف ويمسكها أحد الدرور، ذُهل الشابان ما أن وقع نظرهم على هذا الحيوان الغريب الذي لا تظهر له ملامح ويغطيه الشعر تماماً.. وقف "حسام" مذهولاً فاتحاً فاه وهو ينظر لهذا الحيوان، قال الوزير وهو يشير إليه : « هذا "الدام" من سلالة مخلوقات آتى بها المعظم "يلعاد" إلى عالمنا.. يُقال أن الساحر أعطاها له كهدية عندما زار جزيرته. »

تقدم الملك وامتطى حيوان "الدام" ؛ يسحبه كائن الدرور ضخم جداً طوله يتجاوز الأربعة أمتار، يسير على قدميه، ويحنى رأسه للأمام، والقائد "عوش" خلف الملك امتطى وحش عملاق يشبه النمر لونه أسود، أنيابه بارزة خارج فكه وله ذيل قصير.. وقليل من الحرس كذلك يمتطون حيوانات تشبه الذئاب ولكنها أكبر ضخامة.. بينما قدّم الحرس للوزير والشابان ثلاثة أحصنه طويلة شعرها أحمر يزينه بعض الخطوط

بيضاء اللون، تقدم الوزير وامتطى إحداها وكذلك "سعيد"، بينما ما أن أقترب "حسام" منها حتى التفت الحصان برأسه إليه وزمجر فاتحاً فاه ليظهر أسنان مدببة وأطلق من بينها لسان طويل يقترب من النصف متر.. ارتعد "حسام" من المنظر وتراجع ساقطاً على الأرض قبل أن يشد الحارس السلسلة بقوة ليهدأ الحصان ويعود "حسام" مرة أخرى ليمتطيه.

سار الموكب متقدماً تجاه البوابة، ليبدأ الماموث الضخم في جر السلاسل وتُفتح البوابة رويداً رويداً محدثه صوت صفيرها الحاد، عبرها الموكب الملكي خارجاً خارج السور.. إلى طرقات واسعة تضيئها مشاعل كثيرة.. جميع من بالطريق ينحنون عند مرور الموكب من أمامهم، والملك جالس فوق "الدام" وقدماه الضخمتان تغوصان داخل شعر هذا الحيوان الأسود الكثيف.

رأى الشابان في الطريق الكثير من المخلوقات التي شاهدوها من قبل وكذلك وجدوا الكثير من الحيوانات الغريبة منها ما هو مقيد بأوتاد في الأرض، وبعض الحيوانات تستعملها المخلوقات الأخرى لتحملها أو تحمل أشيائهم.. كان هناك حيوان مقيد بسلسلة يشبه الماعز لونه أحمر داكن وله عين ثالثة في منتصف رأسه، وكذلك رأوا أحد الجور يمتطي حيوان كثيف الشعر له ستة أرجل مفصلية طويلة تشبه أرجل العناكب وله رأس تشبه رأس الثور، وحيوان آخر يشبه الفأر ولكنه كبير في حجم حصان يجر خلفه عربة بها ثمار كثيرة، نظر "حسام" إلى "سعيد" وقال في ذهول : « هل كنت تتخيل يوما بوجود كل هذا ؟.. كل هذه المخلوقات وهذا العالم تحت الأرض ولا أحد يعلم عنه شيء. »

-: « لديهم هنا حيوانات كثيرة متنوعة، وأشكالها غريبة... »

كان الوزير منصت لحديث الشابين فشاركهم قائلاً : « في الحقيقة أكثر هذه الحيوانات تم تهجينها هنا.. أما أصلها فقد حكى لنا أجدادنا أن أغلب هذه المخلوقات ربما أرسلها الساحر.. فأكثر هذه الحيوانات وجدوها على ساحل البحر... »

سأل "سعيد" الوزير مقاطعاً : « وما علاقة الساحر بالساحل ؟!. »

-: « جميعنا هنا.. نعتقد أن الساحر يعيش بجزيرة في هذا البحر. »

قال "حسام" : « وما الذي تعرفونه عن هذا الساحر ؟. »

-: « لا نعرف الكثير غير إنه الساحر الأسود، الذي ساعد "يلعاد" المعظم ليقود أجداد الطوس إلى هذا العالم الآمن لهم. » ؛ كان الوزير يتحدث وهو يحرك ذراعيه للأعلى وأكمام ملابسه الطويلة منسدلة للأسفل بشكل مضحك.

وصل الموكب إلى ساحة كبيرة يجتمع بها الكثير من مخلوقات هذا العالم.. تقدم الحراس ليبعدوهم ويشقوا طريقاً بينهم يصل لمنتصف الساحة.. نزل الملك على الأرض وخلفه القائد "عوش" وساروا على أقدامهم وكذلك الوزير والشابان وبعض الحرس.. كان يوجد في النهاية تمثال ضخم لأفعى لها قرون يخرج لسانها من بين أنيابها الطويلة، ويوجد أسفل منها تماثيل ولوحات حجرية يحيطها حجارة مصفوفة على شكل دائرة كبيرة.. اقترب الملك متجاوزاً الحجارة ليدخل الدائرة، ثم انحنى أمام التمثال في وقار غريب على هيئته القوية، وظل الأخرون خارج الدائرة.. والشابان ينظران بتمعن شديد نحو بعض التماثيل الموجودة أسفل منهم على الأرض.

انحنى الوزير على "سعيد" هامساً : « هذه الدائرة المحرمة.. يعتقد الطوس بأن الأزلي كان موجوداً هنا منذ زمن.. وسيعود إليها يوماً ما. » ،ثم رفع رأسه لينظر باتجاه تمثال الأفعى وهو يقول : « هذا هو السيد الأزلي. »

لم يكن أي من الشابين مهتماً لكلام الوزير وظلا ناظران باهتمام للتماثيل قبل أن يمسك "حسام" يد "سعيد" ويشير للوحة حجرية قائلاً بذهول : « "سعيد" أنظر هناك... هذه كتابة هيروغليفية!!. »

تابع "سعيد" كلام صاحبه قائلاً : « وكذلك هذه التماثيل فرعونية. » ؛ ثم نظر إلى الوزير وسأله : « أين عثرتم على هذه التماثيل الصغيرة ؟. »

-: « أه... هذه التماثيل... يقال أن المعظم "يلعاد" أحضرها معه من عالمه قبل أن ينتهي ويأتي بقومه إلى هنا... » ، ثم أحنى رأسه ونظر الشابين وسأل بصوته الهادئ المخيف : « ما سبب اهتمامكم بها؟.. هل تعلمون شيئاً عنها ؟. »

أجاب "حسام" متصنعاً عدم الاهتمام : « لا.. ولكن أعتقد بأن "أبن الخالدي" ذكرها في بعض رسائله لنا.. إنها شيء مهم عندكم.. هكذا قال. »

لم يقنع رد "حسام" الوزير فابتسم وقال : « بكل تأكيد مهم جداً.. فهذا مكان مقدس عندنا. » ، تيقن الوزير بداخله بأن الشابين لديهم معرفة ما بمصدر هذه الحجارة.

انتهى الملك من صلاته ثم عادوا جميعاً إلى الموكب ليكملوا مسيرتهم مرة أخرى متجهين إلى المكتبة.. ساروا مسافة ليست طويلة من ساحتهم المقدسة حتى ظهر لهم

من بعيد جبل تنتشر به نقاط ضوء زرقاء لامعة.. تهلل وجه الوزير وأشار إلى الجبل وقال للشابين : « وصلنا الأن أرض الأرون .. أرض العلم. »

وصل الموكب إلى مبنى ضخم له مدخل كبير تزينه رسومات هندسية مصنوعة بشكل دقيق جداً يتوسطها كتابات غريبة، ويوجد فوق باب المدخل نقوش كبيرة، أمامها شعلات ترسل ضوء لونه أزرق غريب ليضيء تلك النقوش.

عبر الملك وقائده وبعض الحرس المدخل بينما الوزير تقدم أمام الشابين والتفت لهم وقال مرحباً بهم : « مرحباً بكم في دياركم.. أرض الأرون. »

كان الوزير يحب يتفاخر كثيراً بشعبه لدرجة العنصرية المتطرفة.. خلال الطريق كان ينتهز كل فرصة ليتحدث عن عظمة الأرون وعلمهم.. يذكر لماذا يُعتبر الأرون أفضل شعوب عالم البادا.. إنهم أذكياء.. ويصنعون ملابسهم من النباتات وليس من الجلود، وأهم شيء إنهم الأقرب فهماً للبشر، هكذا كان يقول لهم "أبن الخالدي" دائماً.

عبر الشابان المدخل ليجدوا أنفسهم في ساحة كبيرة مغطاة بسقف واسع كالسماء، وما أن رفعا رأسيهما للأعلى حتى سيطرت الدهشة على وجوههما.. فكان السقف مضيئ يرسل ضوئه لينير الساحة كاملة.. امتلأت الساحة بالأرون جميعهم يرتدون ثياب طويلة ذات لون واحد وليست متدرجة مثل الوزير، يغطون رؤوسهم بغطاء يتدلى شعرهم الطويل من أسفله.. الإناث لهم وجه جميل وكذلك بشرتهم الزرقاء لونها فاتح قليلاً عن الذكور.

جميع من في الساحة منشغلون يتحرن كلاً منهم في عمله حتى لاحظوا دخول الموكب ويتقدمه الملك.. انحنوا جميعاً له وما أن أشار لهم بيده حتى تابعوا أعمالهم مرة أخرى بنظام شديد.. لاحظ الشابان أن الأرون ينظرون إليهم ويحنون رؤوسهم قليلاً وهم يبتسمون.

تقدم الموكب حتى وصل إلى باب صغير يعلوه كتابات ورسومات لأسهم كأنها تعليمات.. نزل الملك من فوق دابته ودخل ومعه الوزير والشابان فقط، بينما وقف القائد والحرس في الساحة أمام المدخل.. خلف الباب يوجد ممر طويل، يؤدي إلى غرف كثيرة على جانبيه.. فجأة توقف الملك أمام باب أحدى الغرف، ونظر إلى الشابين وقال : « تقدموا.. أريدكم أن تشاهدوا شيء هام هنا!. »

دخل الملك للغرفة والشابان خلفه يتساءلان عما يوجد بالداخل، قال لهم الوزير وهو ينظر للنقوش فوق باب الغرفة : « إنها قاعة الرؤوس... »

ذهلا الشابان بمجرد دخلوهم القاعة.. كانت واسعة تمتلئ بجماجم ضخمة كثيرة وقد وُضعت فوق أعمدة حجرية طويلة كأنها متحف للجماجم.. كانت هناك رائحة كريهة منتشرة بالقاعة جعلت الشابين يتنفسا بصعوبة حتى لا يشتموا هذه الرائحة.

وقف الملك أمام أحد الأعمدة وأشار للشابين لرؤية جمجمة ما فوق العمود.. تقدم الشابان نحوه وكانت الجمجمة صغيرة، بكل تأكيد إنها تعود لإنسان.. قال الملك : « هذه رأس "أبن الخالدي"... »

وقعت هذه الجملة كالصاعقة في نفوس الشابين، كان هذا آخر أمل لهم للعودة إلى ديارهم، كانت خطتهم بالكامل تعتمد على إتباع ما كتبه "أبن الخالدي" ليعودوا إلى الأرض.. ولكن الأن وقد تأكدوا بأن "أبن الخالدي" بكل ما يملكه من معرفة وعلم لم يستطع العودة.. وهم الأن سيظلون محتجزين في هذا العالم المظلم حتى يموتوا، ولن يروا الشمس مرة آخري.

قال "سعيد" مستنكراً : « مات "أبن الخالدي" هنا!!. »

قال الوزير : « لقد عاش ومات هنا معنا.. ووضعنا رأسه هنا مع عظماء عالمنا من ملوك ووزراء وقادة.. لقد كان عظيم... »

قال الملك : « بالطبع كان رجل عظيم لعالمنا.. ونتمنى أنكم تكملوا طريقه هنا. » ؛ ثم استدار الملك وبدأ يشير إلى بعض الجماجم ذاكراً أسماء أجداده من الملوك.. وما أن أنتهى من عرضه قال للوزير : « "ماروب".. هل نذهب للمكتبة الأن ؟. »

رد الوزير مبتسماً : « بكل تأكيد جلالتك، فنحن نريدهم أن يروا ما تركه "أبن الخالدي" لنا من علوم ليكملوا مسيرته. »

خرجوا جميعاً من المتحف ليكملوا طريقهم في الممر.. وفي الخلف سار الشابان واليأس قد احتل تفكيرهم، فلم يبقى لهم أمل في العودة لحياتهم وعائلتهم وأصدقائهم، لقد حُكم عليهم بالسجن مدى الحياه في هذا العالم المظلم.. همهم "حسام" حزيناً : « سنموت هنا ولن يعرف أحداً.. هذه النهاية. »

كان الممر طويل جداً.. أطول مما أعتقد الشابان.. الأبواب على يمينهم ويسارهم بعضها مفتوح وبها كائنات الأرون بوجوهها الزرقاء.. غرف تشبه الفصول الدراسية حيث يقف أحدهم يشرح على لوحة كبيره وأمامه بعض الأرون ينصتون له، وكانت بعض الغرف تشبه المختبرات ومعامل التجارب، ويوجد بها معدات غريبة.

في نهاية الممر وقفوا أمام باب كبير حوافه من زجاج ملون يضيئ عليه كتابات تتغير كلما تغير لون الضوء.. قال الوزير ببرود وابتسامته الناعمة لا تفارق وجهه : « هذه مكتبة الأرون.. وبيت "أبن الخالدي". »

****

١٠

المكتبة

كانت المكتبة عبارة عن بهو عملاق يمتلئ بالكتب والمخطوطات في رفوف جداريه مثبته في جوانبه وكذلك تنتشر الكتب فوق موائد حجرية توجد في منتصف البهو.. ويوجد الكثير من الأرون بعضهم يقرأ والبعض يرسم أو ينحت والجميع مشغول بما يصنع حتى انتبهوا لدخول الملك فانحنوا جميعاً ثم عادوا مرة أخرى لما يفعلون.

اقتربت سيدتان من الأرون نحوهم، كان من الواضح أن المتقدمة أكبر سناً من الأخرى وكانت ترتدي رداء أبيض اللون على عكس جميع من رأوهم من الأرون.. تقدمتا بثبات اتجاه الملك وانحنوا أمامه.

كانت الصغيرة منهما ترتدي ثوب أزرق غامق، ذات بشرة فاتحة، تكاد تكون بيضاء وليست مثلهم زرقاء، ولها وجه بديع مبتسم ما أن رآها "حسام" حتى أطلق صافرة إعجاب.. نظر الوزير إليه ليسأله عن هذا الصوت الذي صنعة، فأجاب "حسام" ساخراً : « هذه طريقة للترحيب بالنساء في عالمنا... » ؛ بينما خلفه "سعيد" يبتسم.. حاول الوزير تقليد تصفيره ولكن شفتاه الصغيرتان لم تساعده.

أشار الوزير إلى السيدتين معرفاً بهما للشابين قائلاً : « هذه "هانور" زوجتي.. وهذه ابنتنا "إينورا". » ؛ ثم نظر للسيدتين وعرفهما على الشابين.

همس "سعيد" في أذن صديقه وهو يشير للمرآة التي ترتدي الثوب الأبيض : « هذه "هانور".. الساحرة التي تحدثت عنها "كوشي". »

رد صديقه مندهشاً وعينيه تحملق في الفتاة الصغيرة : « ساحرة.. لكن الفتاة الصغيرة جميلة.. أليس كذلك ؟. »

تقدمت "هانور" وابنتها لتصافحهم.. كشفت "هانور" عن يدها رافعة كم ردائها الطويل لتظهر بيضاء اللون.. يدها باردة وذات ملمس رطب.. ثم وقفت "هانور" تتحاور مع الملك بلغتهم الغريبة، والوزير يتحدث مع الشابين عن المكتبة وما بها من كتب وعلوم.

كانت "إينورا" واقفة تنظر للأرض ولا تتحدث مع أحد حينما سألها "حسام" : « هل تتحدثين العربية مثل والديك ؟. »

أجابت "إينورا" دون أن ترفع رأسها : « نعم. »

كانت إجابتها قصيرة وسريعة ولكنها شجعت "حسام" ليذهب ويقترب منها ثم قال : « نحن أقارب "أبن الخالدي" وصلتنا رسائله عنكم. »

رفعت "إينورا" رأسها لتظهر عينها الزرقاء الواسعة مضيئة لتزيد وجهها جمالاً وقالت مبتسمة : « لابد وأنه أخبركم عن جدتي "إينار". »

-: « أه.. بكل تأكيد ذكرها في رسائله.. ولكن الرسائل التي أرسلها كثيرة لذلك لست متذكر ما كتبه عنها بالتحديد. »

نظرت "إينورا" له وقالت : « أعتقد أن رسائله عنها لم تصلك، ولم تقرأ شيئاً عنها، وأنت تقول هذا حتى لا تحرجني.. أليس كذلك؟. »

أبتسم "حسام" وقال : « نعم.. ذكائك أبهرني كما فعل جمالك.. ولكن أؤكد لك بأن الكثير من رسائل "أبن الخالدي" لم أقرئها قبل أن أصل هنا.. وكذلك لم أكن أبداً لأكذب على أجمل وأذكى من رأيت في هذا العالم. » ؛ ابتسمت "إينورا" و"حسام" مازال يتحدث، بينما "هانور" تراقبهم بعينها وهي تتحدث مع الملك.

مضى وقت قليل ثم وجهت "هانور" حديثها ل"سعيد" قائلة : « هل تريد الذهاب لغرفة "ابن الخالدي" ؟. »

رد "سعيد" : « بكل تأكيد فهذا سبب حضورنا هنا .. أليس كذلك.. "حسام"؟.. »

كان "حسام" مازال يتسامر مع "إينورا" حينما قاطعه صديقة فقال : « بكل تأكيد نريد الذهاب هناك. » ، ثم وجه كلامه ل"إينورا" قائلاً : « سوف تأتين معنا إلى هناك... ؟. »

-: « بكل تأكيد سنذهب جميعاً إلى هناك. »

استدارت "هانور" والشابين و"إينورا" من خلفها.. وبدأ الوزير بمرافقتهم حينما أمسك الملك يده وقال : « اذهبوا أنتم.. أنا و"ماروب" لدينا بعض الأمور لنناقشها في مكتبه

هنا. » ، ثم تحدث مع الوزير هامساً وهما يتصنعان النظر إلى لوحة كبيرة يرسمها أحد الرسامين في الردهة.

سارت "هانور" وقد لحقها "سعيد" بينما "حسام" في الخلف يسأل "إينورا" : « هل أنت موجودة هنا دائماً.. ؟. »

وقفت "هانور" ونظرت للخلف وقد رسمت ابتسامة غريبة وجهها وهي تنظر ل"حسام" قائلة : « بكل تأكيد.. "إينورا" هي المشرفة على المكتبة وكذلك على غرفة "أبن الخالدي".. إنها تعيش هنا. »

ثم نظرت أمامها وكانوا وصلوا إلى باب صغير مرسوم عليه وجه لشمس مبتسمه.. وقد وقف أمام الباب حارس ضخم من الطوس.. أشارت "هانور" إليه فأخرج مفتاح كبير معلقاً على صدره وفتح الباب لهم.. دخلت "هانور" الغرفة وهي تقول : « هذه غرفة صديقنا "أبن الخالدي". »

كانت غرفة واسعة، سقفها منخفض، وفي المنتصف توجد مائدة صغيرة يجتمع فوقها بعض المخطوطات الورقية وحباره قديمة وبجوارها ريشة معدة للكتابة، ويوجد في جميع أنحاء الغرفة كتب كثيرة جُمِعت فوق بعضها، ويوجد في أحد الأركان سرير كبير عليه غطاء ملون بألوان مختلفة، وقد عُلق على الجدار قريب منه ثياب يظهر من شكلها وحجمها أنها تعود ل"أبن الخالدي".. وكان يمر بالغرفة تيار هواء بارد يحرك شعلات النار المثبتة بالحائط.. لم يستطع الشابان معرفة مصدر هذا التيار الغريب.

تقدم "سعيد" باتجاه المائدة في المنتصف، وبدأ في تفقد ما عليها من كتب.. وجد الكثير من المخطوطات القديمة مكتوبه باللغة العربية.. رفع "حسام" إحداها يقرأها بينما "سعيد" منبهراً بالكم الهائل من الكتب الموجودة وقال وهو يدور حول نفسه ليستكشف جوانب الغرفة بعينيه : « أظن أن "أبن الخالدي" عاش هنا فترة طويلة حتى يكتب كل هذا الكم من الكتب. »

قالت "هانور" بحزن : « على العكس.. كانت فترة قصيرة جداً. »

قالت "إينورا" : « هل تعرفون طريقة قراءة هذه الكتب سحرية؟!. »

رد "حسام" متفاخراً : « بكل تأكيد.. أنها سهلة جداً بالنسبة لنا. »

قالت "هانور" وهي تجلس فوق السرير : « هنا عاش "أبن الخالدي".. والدتي "إينار" كانت أقرب شخص له... »

قال "سعيد" مستغرباً وهو يتفقد المخطوطات : « والدتك !!.. تقصدين جدتك.. فهذه الكتابات قديمة جداً. »

ابتسمت "هانور" وقالت : « لا.. لا.. نساء الأرون يعيشن أكثر من أي أحد في عالم البادا.. لذلك يُحفظ قانون سيد الظلام "يلعاد المعظم" معنا نحن نساء الأرون.»

همس "حسام" لنفسه: « إذاً أعماركم أطول منا. »

قالت "هانور" : « "أبن الخالدي" كان يفضل التعامل مع الأرون.. لأننا أذكياء.. مثلكم.. لذلك عاش معنا هنا.. لقد كان عالماً يحب العلماء. »

قال "حسام" : « هذا مؤكد.. فنحن أيضاً علماء. »

وقفت "هانور" واقتربت من "حسام" ووجهها مبتسم قائلة : « وماذا كنت تصنع في عالمكم من أشياء جميلة؟.. أريد أن أعرف كل شيء عنكم.. فنحن أصدقاء. »

ارتبك "حسام" من اقترابها منه وقال : « كنت أصنع الأسلحة.... »

قاطعه "سعيد" ساخراً : « كان يطبخها.. أقصد يصنعها في مطبخ الفندق. »

قالت "هانور" متعجبة : « فندق !!... »

رد "حسام" بسرعة : « هذا المكان الذي نقوم فيه بالتجارب السرية. »

قالت "إينورا" وعلى وجهها ابتسامة : « إذاً فأنا أملك فندق خاص هنا أيضاً. »

نظر "حسام" اتجاه "إينورا" وقال: « كم أتمنى أن أزوره سيدتي. »

ابتسمت "هانور" وقالت : « أكيد.. فدائماً أكون هناك مع "إينورا". » ، ثم وجهت حديثها ل"إينورا" قائلة : « أذهبي إلى مكتب والدك.. الملك "زيغ" ينتظرك هناك. »

خرجت "إينورا" و"حسام" يتابعها بعينيه.. تنهدت "هانور" بصوت مسموع ثم قالت : « إن الملك معجب بها أعتقد بأنها ستكون الملكة قريباً. »

-: «ماذا...؟!. » قالها "حسام" مندهشاً وهو ينظر لباب الغرفة حيث خرجت "إينورا".

وقفت "هانور" خلف "حسام" ووضعت يدها البيضاء فوق كتفه وهمست في أذنه قائلة : « أعلم بأنك تحب "إينورا، و.... »

قاطعها "حسام" واستدار سريعاً لمواجهتها وقال نافياً بصوت منخفض : « لا.. لا.. ما الذي جعلك تعتقدي هذا؟.. أرجوكي سيدتي لا تفهميني خطأ. » ؛ كان "سعيد" يستمع لحوارهم وهو يتفقد الأوراق على الأرض.

قالت "هانور" تطمئن "حسام" : « لا تخف.. لقد رأيت نظراتك إليها.. »

قاطعها "حسام" مرة أخرى وكان وجهه شديد الاحمرار قائلاً : « لا.. إنه مجرد إعجاب مني فقط لها.. هذا شيء طبيعي.. في عالمنا. »

-: « لا تقلق يا صديقي لقد لاحظت نظراتها أيضاً وأظن بأنها معجبه بك أيضاً.» ، ثم التفتت "هانور" ووضعت يدها على المائدة وهي تقول : « أريد أن أخبركم شيئاً من صديقه لأصدقائها.. نحن أصدقاء عقل وعلم قبل كل شيء.. نحن من نمنح العالم أمل في البقاء.. إن هذا الملك وشعبه من الطوس ما هم إلا حمقى مثل العبيد، يختلفون فقط بأنهم لديهم القوة للحكم.. ولكنهم لا يملكون العقل لاستخدامها.. لذلك نحن نحركهم كما نشاء.. إن الطوس يحبون السيطرة لذلك منحناهم العبيد والخدم ليسخروهم لخدمتهم... »

قاطعها "سعيد" غاضباً : « ومن أنتم لتتحكموا في حياة الآخرين ؟. »

-: «هذا واجبنا لنحافظ على الحياة.. نسيطر على غضب الطوس لنمنح الجور الحياة.. الجور يريدون أن يحكموا عالم مظلم، وهذه فكرة ستقودهم للهلاك.. الطوس سوف يبيدونهم أن فكروا في التمرد.. لذلك نحن نعمل على أمن هذا العالم للجميع، وحماية كل أفراده.. لنحيا في أمان.. نحن، والطوس، والجور، وكذلك الخدم.. هذه مهمتنا.»

-: « أنتم تخشون هلاك الجور حتى يظل للطوس من يسيطرون عليه غيركم. »

-: « ربما ما تقوله صحيح.. ولكن هذا يحافظ على توازن العالم أيضاً.. فالكل هنا لديهم أهداف وكذلك أوهام.. الطوس يبحثون عن سيدهم الأزلي.. والجور يريدون الخلاص منهم.. أما نحن فنريد أن نرى الشمس مثلكم.. نحن وأنتم متشابهون. »

رد "سعيد" محتنقاً : « لا لسنا متشابهون.. نحن لا نريد أن نعيش على ذل غيرنا. »

قالت "هانور" بصوت مرتفع : « نحن نتفق في الذكاء.. ولكن أنتم تضعفكم الشفقة. »

قاطع "حسام" حوارهم لينهي هذا الجدال الحاد بينهم قائلاً : « بكل تأكيد لا يستحق أحد الحياه أكثر من الأذكياء.. البقاء للأذكى. »

وضعت "هانور" إصبعها أمام فمها تفكر ثم قالت : « البقاء للأذكى.. هذه أفضل عبارة سمعتها منكم.. تنم على ذكاء قائلها. » ، ثم نظرت إليهم وقالت : « لا أعتقد أن هذا وقت جيد للنقاش.. والأن سأرحل لأترككم ترتاحوا. »

ذهبت "هانور" اتجاه الباب وقبل أن تخرج التفتت إلى الشابين قائلة : « إذا أردتم أي شيء أخبروا الحارس. » ، ثم خرجت من الغرفة ووقفت تتابع الحارس وهو يغلق الباب جيداً، ثم أكملت سيرها وعلى وجهها ابتسامة غامضة.

****

١١

المؤامرة

كانت "إينورا" واقفة في بهو المكتبة حينما رأت والدتها قادمة نحوها، فأسرعت إليها وسألتها متلهفة : « ماذا حدث؟.. هل سيبقون هنا؟. »

ابتسمت "هانور" وقالت : « بكل تأكيد.. هذا موطنهم الأن. » ، ثم التفتت حولها وقالت : « أين والدك والملك؟.. ولماذا لم تذهبي إليهم؟. »

-: « يجلسون في المكتب.. وهناك حراس للملك على الباب، ولم أريد أن أقاطع حديثهم. »

-: « جيد.. سوف أذهب لهم.. أبقي أنت هنا. »

وصلت "هانور" إلى مكتب الوزير.. وقد وقف على الباب حارسين من الطوس، دخل إحداهما ليستأذن الملك لها بالدخول.. بينما هي تقف بالخارج تشابك أصابع يديها المخفيين داخل أكمام ثيابها الطويلة منتظره خروج الحارس وملامح وجهها جامدة، حتى خرج الحارس وسمح لها بالدخول فرسمت ابتسامة باهتة على وجهها وهي تعبر باب المكتب.

كان الملك جالس فوق كرسي كبير حينما دخلت "هانور" لتحييه، فبادرها قائلاً : « أتمنى أن تخبريني بأن كل شيء يسير كما نريد. »

-: « بكل تأكيد مولاي.. إنهم..... »

قاطعها الملك متلهفاً : « كل ما أريده أن ينجزوا المهمة التي لم يكملها "أبن الخالدي".. أريدهم أن يصلونا لعالمهم.. أن يصلونا للسيد الأزلي. »

ردت "هانور" بصوتها الهادئ : « سوف يفعلون.. ولكن نريد أن نجعلهم يثقوا بنا أولاً. »

قال الملك غاضباً : « إنهم ضعاف.. سنغزو عالمهم.. وسنحصل على ما نريد.»

ظهرت على وجه "هانور" عدم الارتياح لفكرة الملك فقالت : « بكل تأكيد أجسامهم ضعيفة.. ولكن لا نعلم قوة أسلحتهم..... »

ثار الملك ونظر إلى وزيره قائلاً : « أريد أن أعرف أسلحتهم.. هذا ما أريده "ماروب".»

رد الوزير متخوفاً وهو ينظر لزوجته مترقباً ملامحها : « ستبذل "هانور" كل جهدها لتعلم كل ما تريد معرفته يا مولاي. »

هدأ الملك ووجه كلامه ل"هانور" قائلاً : « أتمنى هذا قريباً... » ، ثم أكمل وهو يقف وينظر لوزيره : « سوف أعود الأن إلى القصر.. وأريدك أن تخبرني بكل ما هو جديد.»

خرج الملك وأتبعه الوزير بينما ظلت "هانور" في المكتب بمفردها، وهمهمت غاضبة : « هذا الطوسي الأحمق... إنه حتى لا يصلح أن يكون ملكاً على المنبوذين.. لا يعرف قوة البشر، يظن بأنه يدير العالم ولا يعرف أن البشر هم من يديرون هذا العالم في الواقع!!.. » ، ثم خرجت من المكتب وهي تتلفت حولها لتتأكد بألا يتابعها أحد.. وجدت ابنتها "إينورا" منشغلة في القاعة مع بعض الطلاب، والوزير خرج مع الملك ليوصله إلى قصره، وجميع من في القاعة منشغلين في أعمالهم.

سارت "هانور" بهدوء إلى باب كبير في القاعة أوصلها إلى المطبخ.. كان هناك الكثير من كائنات الدرور الصفراء منشغلة في إعداد الطعام، تسللت من بينهم وعينها تراقبهم حتى وصلت لغرفة تخزين الطعام.

كان مخزن الطعام واسع، وقليل الإضاءة، يوجد به الكثير من المواد موضوعة فوق بعضها.. تسللت "هانور" من بينها بهدوء دون أن تصدر أي صوت، ولكن فجأة صُدِمت بشيء ضخم أمامها فأصدر صوت غريب.. فزعت "هانور" ورجعت خطوة للخلف ناظرة للشيء الذي صدمها، ثم صاحت به في غضب: «ما الذي تفعله هنا ؟!..»

كان أحد كائنات الدرور يحمل بعض الطعام، فرد مرتبكاً : « كنت.. كنت أخذ طعام للمطبخ. »

نظرت "هانور" تتفحص وجهه، ثم قالت : «من أنت ؟.. لم أراك هنا من قبل. »

زاد أرتباك الدرور وهو يقول : « أسمي "سالدر".. أخدم في المطبخ منذ..... »

قاطعته وهي تشير بيدها للخارج :«لا يهم.. أخرج من هنا ولا تعود للمخزن مرة أخرى.»

أحنى "سالدر" رأسه بالإيجاب وخرج.. وعين "هانور" تتابعه لتتأكد من رحيله.. ثم توجهت لأحد الجدران بالمخزن ورفعت أكمام ثيابها لتظهر يدها البيضاء فوضعتها على الجدار وبدأت تتلوا بعض الكلمات الغريبة.

بدأ التراب فوق الجدار يتساقط ليملأ المكان بدخان، و"هانور" مستمرة في همهمتها حتى حدث شرخ في الجدار وبدأ يتسع لتظهر من خلفه ستارة من قماش، ذات ألوان كثيرة.. توقفت "هانور" عن الكلام ونظرت حولها تتأكد من عدم وجود أحد يراقبها قبل أن ترفع الستارة وتعبر للجهة الأخرى.. دخلت إلى غرفة كبيرة دائرية تغطي الستائر جدرانها وفي منتصف السقف يوجد مصباح كهربائي معلق يضيء الغرفة.. تقدمت "هانور" ووقفت في منتصف الحجرة أسفل المصباح.

لم يمضي وقت طويل حتى تحركت إحدى الستائر وظهر من ورائها شخص ضخم يعرج وظهره محنى وتعلوه حدبة تقدم نحو "هانور" وقال : « أرى أنك وصلت مبكراً »

أجابت "هانور" قائلة : « أنت من تأخر يا "أجريمون". » ، ثم همست قائلة : « طلبتك مبكراً حتى أعرف ماذا يريد رسل الساحر من البشريين؟. »

رد "أجريمون" ببرود : «سوف يأتون الأن.. يمكنك طرح هذا السؤال عليهم. »

قالت "هانور" متذمرة : « أريد أن أعرف ما يريدون منا نحن. »

جلس "أجريمون" على الأرض وقال وهو يتفقد ساقه الخشبية : « لا يريدون منا شيء.. الساحر يريد فقط ما أخفاه "أبن الخالدي" هنا.. وهذا المهمة للشابين. »

-: « ولماذا إستدعونا نحن ؟!. »

رد "أجريمون" ببرود وهو يتكأ مسنداً جنبه للأرض : « ربما لننهي حياة البشريان بعد أن يحصلوا على غرض الساحر. »

اقتربت "هانور" من "أجريمون" وقالت هامسه : « وهل تعلم شيء عن غرض الساحر الذي أخفاه "أبن الخالدي" هنا ؟!. »

-: « لا.. ولكن أعتقد بأنه له علاقة بالوصول لعالم البشر أو أرض الساحر نفسه. »

قالت "هانور" بحماس : « هذا جيد لنا لنعرف ما نريه عن عالمهم.. سوف نحتفظ بهذا الغرض لنا. »

اعتدل "أجريمون" وقال محذراً : « لكن الساحر.. لن يروقه هذا.. سوف يدمرنا.»

همست "هانور" وعينيها تلمع : « لو كان يستطيع لحضر هو بنفسه ليأخذ ما له.. ما أخفي عنه.. وهذا دليل على أنه لا يعلم كل شيء، وعيونه السحرية لا تستطيع معرفة كل شيء »

نظر "أجريمون" بخوف لأحد للأعلى، وكان هناك في الزاوية توجد كاميرا مراقبة تتحرك بشكل ميكانيكي متواصل.. همس خائفاً : « لقد عذبت رُسله "أبن الخالدي"، وقتلوه.. لأنه لم يخبرهم بمكان... »

قاطعته "هانور" وقالت : « لم يقتله.. استطاع "أبن الخالدي" الخروج من هنا.. ليست رأسه التي في قاعة الرؤوس.. هذا ما أخبرتني به "إينار". »

عاد "أجريمون" إلى تحذيره قائلاً : « أن رسل الساحر يشكون في نواياكم.. منذ أن أخفيتم كتب "أبن الخالدي" السحرية عنهم.. ومنعتي عيونه السحرية من الرؤية هناك.»

قالت "هانور" غير مبالية : « أن هذه الكتب ليست مهمه للساحر.. أنه يريد غرضه فقط، وكما قالت رُسله هو لدى الجور.. وعلى كل حال فأنا لا أعرف كيف سيعثر البشريان على ما يريده.. أنا لا أثق في هذا الساحر..... »

قاطعها "أجريمون" : « لكن أنا ولائي للساحر.. لا يمكن أن أفكر في غير ذلك.. أنا أثق به.»

قالت ساخرة : « إذاً لو طلب منك قتل البشريان سوف تقتلهم أنت. »

-: « بكل تأكيد.. فأصغر وحش لدي في الحلبة يستطيع قتل جيش منهم. »

-: «ولكن..... »

لم تكمل "هانور" حديثها حيث سمعا صوتاً قادم من أحد جوانب الغرفة وبدأت الستائر ترتفع عن الجدار.. هب "أجريمون" واقفاً بسرعة وهو يشير ل"هانور" بالسكوت وهمس قائلاً : « وصل رُسل الساحر.. أتمنى ألا يكونوا سمعوا حوارنا.»

دخل من وراء الستارة ثلاثة أشخاص يرتدون ملابس طويلة تغطي أجسامهم بالكامل ولها غطاء كبير يغطي رؤوسهم ووجوههم ويحمل أثنان منهم أشياء في أيديهم.. تقدم الثلاثة حتى وصلوا لمنتصف الغرفة ووقفوا أمام "أجريمون" و"هانور" ثم رفعوا الغطاء عن رؤوسهم فظهرت ملامح وجوههم.. كانوا بشر.. امرأة ورجلان، تقدمت المرأة فانحنى "أجريمون" و"هانور" تعظيماً لها.. بينما الرجلان في الخلف مسلحان يحملان أسلحة آلية، ويرتديان نظارة للرؤية الليلية.

نهضت "هانور" وقالت : « أهلاً ومرحباً بكم.. رُسل الساحر العظيم. »

لم ترد المرأة عليها بينما تبحث بعينها في المكان حولها ثم سألت : « ماذا عرفتم عنهم؟ وكيف وصلوا إلى هنا ؟!. »

ردت "هانور" وقالت : « لم نتمكن من الحديث معهم بعد، ولكن..... » ؛ ثم قطع حديثها صوت سقوط شيء في الخلف، كان الصوت قادم من المكان الذي دخلت منه.. تأهب الرجلان ورفعا أسلحتهم والمرأة عادت للخلف وسط الرجلان بينما "أجريمون" ينظر إلى "هانور" في قلق.. سألت المرأة بغضب : « ما هذا الصوت؟!. »

ردت "هانور" متوترة : « لا أعلم.. سوف أذهب وأرى. » ؛ اتجهت "هانور" إلى الجدار وعبرت الستارة نحو مخزن الطعام وتفقدت المكان ولم ترى أي شيء غريب، حتى وصلت إلى باب المطبخ.. كان هناك نفس كائن الدرور الذي قابلته في مخزن الطعام والقلق يظهر على وجهه، نظرت "هانور" إليه وقالت غاضبة : « ما الذي تفعله هنا عند باب المخزن. »

رد متلعثماً : « أنا.. أنا هنا لأخذ الطعام للمطبخ و.... »

لم تتركه "هانور" يكمل حديثه وقالت له آمره : « أخرج من هنا، ولا تعود مرة أخرى. » ؛ أحنى الدرور رأسه وهم بالخروج حينما أوقفته "هانور" مرة أخرى قائله : «أنتظر.. خذ بعض الطعام وأرسله للضيوف في حجرة "أبن الخالدي". »

ذهب الدرور للمطبخ وحمل بعض الطعام وخرج من المطبخ بينما "هانور" تتابعه بعينها، ثم تنهدت في راحة ومسحت جبهتها بيدها وعادت مرة أخرى ووقفت أمام الستارة وهي تتفقد المكان حولها من جديد ثم اختفت وراء الستارة عائدة لاجتماعها.

****

١٢

حجرة ابن الخالدى

داخل حجرة "أبن الخالدي" وقف "سعيد" ينظر للباب المغلق وهو يتحسسه بيده قائلاً : « والأن.. أصبحنا سجناء في هذا المكان. »

قال "حسام" وهو يجلس فوق بعض الأوراق على الأرض : « هذه المرأة مخيفة. »

-: « كما قالت "كوشي" .. إنها ساحرة. »

-: « هذا جنون.. أقصد شخصيتها قوية فقط.. وليست ساحرة.. هل رأيتها تطير على مكنسة، أو تحمل عصا سحرية في يدها. » ؛ كان "حسام" يتحدث بسخرية وهو يخرج علبة السجائر من جيب بنطاله.

رد "سعيد" منفعلاً : « يظهر أنك أصبحت منحاز إليهم. »

-: « لا.. ولكن كما ترى نحن أضعف اثنين في هذا العالم، وبما أنه لا أمل لنا في العودة، علينا أن نختار الجانب القوي، بما أن فرصة الاختيار في أيدينا.. ولا أعتقد بأن أصدقاؤك الخضر هم الأقوياء هنا. »

قال "سعيد" : « ولكن هؤلاء الجور يضعون آمالهم علينا... »

وقف "حسام" وقال منفعلاً : « أنظر حولك يا صديقي.. نحن لا نستطيع أن نساعد أنفسنا حتى.. إنهم جميعاً وحوش، ونحن مجرد تافهين.. إن هؤلاء الخضر لم يساعدونا حينما أمسك بنا حرس الملك الأحمر.. أعتقد بأن الحمر سيبيدوهم لو فكروا أن يثوروا عليهم. "

قال "سعيد" متأثراً : « ولكن ماذا عنهم.. و"كوشي" ؟. »

قال "حسام" وهو ينفث دخان سيجارته : « "كوشي".. على كل حال نحن أصحاب نفوذ هنا، يمكننا أن نطلب منهم السماح لها بالعيش في أمان هنا.. آرى إنك معجب بها.. رغم شكلها الغريب... »

قاطعة "سعيد" منزعجاً : « إنك مختل.. بكل تأكيد أنت كذلك. »

التفت "سعيد" يتفقد الكتب والأوراق من حوله، بينما "حسام" جلس على السرير وقال : « تعلم شيء.. في الحقيقة أصبح هذا العالم يعجبني.. كنا فوق الأرض مجرد تافهين نعمل في فندق يديره أحمق لمجرد إنه قريب صاحبه، أما هنا نحن مقربون من الملك ولنا شأن كبير، والجميع يحترمنا.. وكذلك أحببت الطعام هنا ولحم الخالد هذا أفضل من جميع اللحوم التي يطبخها الشيف في الفندق. »

حمل "سعيد" بعض الورق وأقترب من صديقة وقال له : « أنظر لهذا...!! »

كان مكتوب في الأعلى عنوان " معرفة قانون يلعاد " وبدأ الشابان في القراءة.....

{ "يلعاد بن عابور" ، حسب أخبارهم هو أول من قاد الطوس إلى هذا العالم وآتى بقومه إليه ، والجميع يتفق بأنه صديق لساحر أعانه للوصول لهذا العالم ليهرب من مخلوقات أخرى تضهدهم ، يُذكر أنه من وضع القانون ، ويحفظ القانون مع امرأة من سلالة "آرديشاء" تدعى "إينار" ، يقدسون هذا القانون ويتبعونه ، والجميع هنا يعلم بأن من تحفظ القانون تقوم بتحريفه حسب هواها ، ولكن لا أحد يقدر على مخالفة نص تم كتابته في القانون ، حدث ذات مرة أن القانون يمنع الزواج من أجناس مختلفة إلا للملك فقط ، ولكن "إينار" حرفت القانون لتضيف للاستثناء - القادمين من عالم البشر - ، إن الملك يتزوج من الأرون ليرث أبنه العرش من بعده ، ينتج من تزاوج الطوس والأرون عمالقة وهذا ما يجعل الملك ضخم جداً ، وهذا يشبه الهجين في الدواب فوق الأرض مثل البغال ، ولكن الغريب أن الهجين في هذا العالم له القدرة على التكاثر ، وهذا يحدث كذلك في دواب هذا العالم حيث الهجين يمكنه التكاثر ، حدثتني "إينار" إنه قديماً حدث تزاوج بين أجناس مختلفة فنتج عنها مخلوقات أكثر ضخامة وفتكاً ورعباً لذلك بدؤا يمنعون هذا الاختلاف ويعاقب بالقتل من يخالف هذا..... }

قال "حسام" متهكماً : « هذا هو قانون يلعاد الذي يتحدثون عنه.. إنه لا يهتم بشيء سوى الزواج. »

-: « أظن إن هذا مجرد توضيح من "أبن الخالدي" لتحريف القانون.. ولكن ما هذه الكائنات التي كانت تضطهد هؤلاء الوحوش... ؟!. »

قال "حسام" مبتسماً : « لا يهم.. ولكن هل لاحظت إضافة "إينار" في القانون؟.. أظن بأن أحداً في هذا العالم كان معجب ب"أبن الخالدي". »

قال "سعيد" ساخراً : « وأنا أعتقد بأن هذا القانون سيجعلك تحب هذا العالم أكثر.. أليست "إينار" هذه والدة الساحرة "هانور" ؟. »

-: « نعم إنها والدتها.. وجدة "إينورا".. جميعهم من سلالة "آرديشاء". »

عاد "سعيد" ليقلب في الأوراق قبل أن يصيح قائلاً : « "حسام" تعال... أنظر هنا...!!» ، كان "سعيد" يحمل بين يديه ثلاث مخطوطات من الورق مربوطة معاً.. كُتب على أولها بخط كبير كعنوان " تذكرة ابن الخالدي لمعرفة كل جنس ووجوب الحذر للإنس "

{ علّمت بأن أي إنسان يتمكن من الوصول هنا سوف يرسلوه لقراءة هذه الصحف ، لذلك وجب أخذ الحذر وليعلم كل ما يريد معرفته عن الأجناس التي تحيطه... أولاً : الجور وتعني الأرض ، هم العبيد ، ويظنون إنهم أساس الأرض ولهم حق حكمها ، فهم من كانوا يعمرون هذه الأرض قبل قدوم الطوس ، وهؤلاء الجور لديهم قدرة على تمييز الروائح من بعيد.

ثانياً : الطوس وتعني النار ، هم الملوك ، يملكون هذا العالم لأنهم أحفاد يلعاد ، ويعتقدون إنهم الأفضل لأنهم أصدقاء الساحر ولونهم لون الدماء ، ويستطيعون الرؤية في الظلام.

ثالثاً : الدرور وتعني الماء ، هم الخدم ، هم ضخام جداً وجبناء على الأرض لكنهم سادة الماء ولهم آذان كبيرة تجعلهم يسمعون من مكان بعيد.

رابعاً وأخيراً : الأرون وتعني الفراغ أو الهواء ، هم الوزراء والعلماء ، وكل الحذر منهم لذلك عليك بالإقتراب منهم ولا تأمنهم ، إنهم أذكياء ولديهم غرور كبير.

إن هذه المخلوقات خطر كبير على عالم الإنس ، لذلك عليك أن تعمل على ألا يصلوا إليه ، إنهم يملكون أسلحة كثيرة لما حولهم من معادن ، وأعمارهم طويلة جداً ويتكاثرون باستمرار مما يجعل أعدادهم أضعاف أعداد الإنس ، لم يكن لي طريقاً سوى أن أجعلهم يقتلوا بعضهم بعضاً.

إنهم كانوا يعيشون حياة كالنمل ، كلاً منهم لديه مهمة ينفذها والجميع راضي بعمله ، لذلك وجب عليّ أن أوقع الفتنه بينهم ليقتلوا بعضهم بعضاً ، أوقعت بينهم بتميز كلا منهم بما لديه من صفات تجعله أفضل من الآخر ، والجميع يصدقني ، ليس عليك سوى أن تجعلهم متحاربين بتفضيل بعضهم على بعض بما ذكرته سابقاً من اختلاف بينهم ...

علي بن مسعود الخالدي }

-: « إن هذا الرجل مجنون لقد حكم على الكثير هنا بالموت من أجل خوف داخل عقله فقط... » قالها "سعيد" منفعلاً وهو يطوي المخطوطات بيده.

قال "حسام" ساخراً : « مجنون ، لأنه حمى البشرية من هذه الوحوش. »

انفعل "سعيد" قائلاً : « هل رأيت أسلحتهم.. إنهم يحاربون بالسيوف.. والعالم فوق يدمر نفسه بنفسه بصواريخ نووية وكيماوية. »

حمل "حسام" بعض المخطوطات فوق المنضدة وهو يقول : « لم يكن هناك صواريخ زمن "أبن الخالدي".. ببساطة كانوا سوف يعجلوا بنهاية العالم في ذلك الوقت.. وكنا الأن نشارك الخضر اليوم في الثورة على أسيادهم.. هذا أن كان مازال هناك بشر حتى الأن.. لقد أعطنا الرجل فرصة للبقاء.. إنه عبقري. »

قال "سعيد" متهكماً : « إنه كاذب لقد أخبرهم بأن القراءة سحر. »

قال "حسام" وهو يقلب في الورق : « بذكاء ذلك الرجل جعل أي شخص يصل هنا من البشر في مكانه كبيرة ويحترمه الجميع، ويكون في أمان حتى يستطيع العودة. »

قال "سعيد" : « لو أمكن هذا الرجل من العودة لعاد ولن يهتم ببقاء العالم. »

كان "حسام" يمعن النظر في الورقة التي في يده قبل أن يقول متحمساً : « إن هذا الرجل ضحى بحياته للحفاظ على البشرية.. كان لديه علم بطريق الخروج ولكنه خاف أن تعلمه هذه الكائنات، وتدمر الحياة على الأرض.. وهذه الورقة تؤكد ذلك. »

تقدم "سعيد" مسرعاً وأخذ الورقة التي كُتب أعلها في المنتصف عنوان " الخروج والعودة إلى الأرض " وبدأ يقرأ بصوت خافض....

{ جزيرة الساحر هي بوابة الخروج من هذا المكان ، حيث آتى يلعاد بن عابور بقومه هنا بعد أن لاقى الساحر على جزيرته ، وهذا مؤكداً لما ظننت بأن هذه الجزيرة هي مخرجي من هذا العالم المظلم ، ولما كان أحد هنا لا يدرك شيئاً عن مكان الجزيرة حتى عثرت بعون الله وفضله على مخطوطة ، أحسب إنها كُتبت بيد الساحر أو أحد أعوانه ، بها بعض الكلمات العربية وكذلك حروف أعجمية ، واستطعت بحمد الله أن أفك طلاسمها وربط ما بها من معرفة مع ما سمعته من أخبار وأحاديث عن الساحر ، وسجلت كل هذا مع كيفية الوصول إليها في كتاب وعنونته " الوصول إلى جزيرة الساحر ". }

طوى "سعيد" الورقة ونظر إلى "حسام" وقال : « إذاً هناك طريق للعودة. »

وضع "حسام" يده فوق رأسه ودار حوله وهو يفكر قائلاً : « ولكن كيف نجد هذه المخطوطة وسط هذه الأوراق الكثيرة.. ؟. »

قال "سعيد" مازحاً : « الأن لا تخشى هذه الكائنات على عالمنا. »

رد "حسام" مبتسماً : « العالم اليوم يمتلك صواريخ وطائرات ودبابات. »

كان "سعيد" بدأ في قلب الورق وأشار لصاحبه قائلاً : « أنا سأبحث هنا.. وأنت هناك. »

بدأ الشابان يبحثان بسرعة، ويقلبون الأوراق دون مراعاة لإعادتها كما كانت مرة ثانية.. وجد "سعيد" مخطوطات عديدة عليها عناوين مثل كتاب لغة البادا، وكتاب الزروع، وكتاب البحر، وباب المعادن والطعام وغيرها الكثير.

بحث "حسام" بمتعلقات وملابس "أبن الخالدي" ووجد بعض المخطوطات في حقيبته الجلدية وكتب على إحداها " الطريق إلى جزيرة الساحر " ، لمعت عين "حسام" فرحاً وأراد أن يخبر صديقه بأنه وجد ضالتهم، لكن أوقفه سماع بعض الأصوات المربكة بالخارج.. صمت "حسام" ونظر لصديقه "سعيد" الذي وضع إصبعه أمام فمه كإشارة بالتزام الصمت.

أعاد "حسام" المخطوطات للحقيبة، وعلقها على كتفه واقترب بهدوء من صديقه.. وقف الشابان ينظران بترقب اتجاه الباب و"حسام" يهمس خائفاً :«هذا الصوت لا يبشر بالخير.»

هدأ المكان مرة أخرى وعاد إليه السكون فابتعد "سعيد" باتجاه كومة ورق وقال : « علينا أن نسرع في البحث.. ولكن بهدوء. »

فتح "حسام" الحقيبة وأرد أن يخبر صديقه بما وجد، لكنهما سمعا صوتاً بالباب وكأن أحد يفتحه.. وقف الشابان ينظران بقلق اتجاه الباب الذي بدأ يُفتح ببطء، و"سعيد" يحاول إعادة ترتيب بعض المخطوطات المبعثرة على الأرض.

تزايدت ضربات قلب الشابان مع دخول القادم إليهم.. دخل أحد كائنات الدرور زاحفاً ويظهر الخوف الشديد على وجهه، ويلهث بصوت عال وأنفاسه متسارعة.. تجمد الشابان مكانهما رعباً وهما مفزوعان من منظره.. مضى وقت على هذه الحالة قبل أن يقطع الوحش لحظات الصمت بصوت متقطع مبحوح آثار الخوف في قلب الشابين قائلاً : « مرحباً.. أنا "سالدر بن فازور". »

****

١٣

الهروب

سمع الشابان ما قاله كائن الدرور، ولكنهما ظلا واقفان في اندهاش لم يحركا ساكناً.. بينما الدرور يخرج لسانه المشقوق خارج فمه كالأفعى قبل أن يتابع كلامه قائلاً بصوته المبحوح : « تعلمت لغتكم من أبي الذي تعلمها من جدي "غلدور" الكبير.. كان خادم "أبن الخالدي".. هل أخبركم عنه..؟. »

تنهد "سعيد" وقال متهكماً : « "أبن الخالدي" مرة أخرى... »

-: « قال "أبن الخالدي" لجدي "غلدور" الكبير بأن أحد من ذريته سيكون له شأن كبير مع البشر، وعليه مساعدة البشر.. وأنا سعيد لكوني أنا "سالدر بن فازور" الذي سيساعدكم الأن في الهرب من هنا. »

سأل "حسام" مستنكراً : « نهرب !!.. لماذا ؟!.. إنه مكان جيد. »

أجاب "سالدر" الذي أصبح صوته أكثر رعباً ويجعل القشعريرة تجري في الجسد قائلاً : « سيقتلونكم.. إنهم يخططون لذلك الأن بكل تأكيد.. أنا أعرف طريق الخروج من هنا.. وسأساعدكم للوصول إلى أي مكان هنا. »

رد "حسام" متهكماً : « لا شكراً.. فأنا أفضل أن نقتل هنا.. يمكنك أن... »

قاطعه "سعيد" قائلاً : « هل يمكنك إيصالنا إلى الجور... »

ثار "حسام" قائلاً : « ماذا..؟! الجور.. إذا كنا سنخرج من هنا، فكل ما نريده الذهاب إلى البحر، وإيجاد مركب.. هذا الحل الوحيد لنصل لجزيرة الساحر. »

قال "سعيد" منفعلاً : « إننا لم نجد الكتاب بعد... » ؛ هم "حسام" بإخراج الكتاب من الحقيبة لولا أن صديقة أكمل قائلاً : « حتى لو وجدناه لن أرحل دون مساعدتهم. »

ضحك "حسام" ساخراً وقال : « مساعدة من.. ؟! إن الجمر سوف يسحقونهم.. ليس لنا دخل بهذا الصراع.. نحن هنا بالصدفة وليست نبوءة.. أتمنى أن تفهم ذلك. » ، ثم أقترب "حسام" من صديقه وهمس في أذنه وهو يشير بعينيه نحو "سالدر" قائلاً : « أنظر يا صديقي جيداً.. فجميع من حولك هنا وحوش ونحن مجرد أقزام هنا، أجبن هذه الوحوش يمكنه سحقنا دون أن يشعر حتى بوجودنا.. دعهم يقتلون بعضهم فهم وحوش وهذا عملهم.»

ابتعد "سعيد" عنه وقال منفعلاً : « هذا ما تراه.. مثل هذا الأحمق "أبن الخالدي" الذي تسبب في هذا البلاء عليهم.. وإذا كنت تراهم وحوش يستحقون الموت لأنهم مختلفين عنك، فلا شك أنت أيضاً كذلك بالنسبة لهم. »

هز "حسام" رأسه نافياً ما يسمعه وقال غاضباً : « هذه الشعارات.. أنظر حولك، ألا يمكنك أن ترى وجوههم وأشكالهم، حتى أحجامهم التي تفوقنا بكثير. »

في هذه الأثناء التفت "سالدر" وفتح الباب وخرج.. كان الحارس من الطوس ساقط على الأرض ورأسه مهشمة وحوله الطعام الذي أحضره "سالدر" معه للشابين.. خرج "سالدر" وأخذ يرتب الطعام فوق -صينية- كانت ساقطه على الأرض بجوار الحارس.

نظرا الشابان إلى حارس الطوس على الأرض وقد غطت الدماء وجهه فقال "حسام" لصديقه : « حتى هذا الجبان الأصفر يكون وحش مخيف.. إننا حتى لا نعرف لماذا يريد مساعدتنا..؟ هذا أن كان يريد ذلك حقاً!. »

-: « لا يهم.. فمقتل هذا الحارس وضعنا في موقف معادي للطوس.. يجب أن نرحل الأن.. سوف أذهب إلى الجور، كل ما أريده أن أساعدهم، فهم يعتمدون علينا، وإن كان هذا مبني على الكذب.. فهذا الأمل يجب أن يبقى.. ولا يجب أن نخذلهم. »

-: « إن الأمل لن ينفعهم، لن يحارب الأمل معهم، لن يحقق النصر لهم.. الأقوياء من ينتصرون.. لذلك هم يحكمون، هذا ما يقوله العقل، والمنطق، والواقع.. »

قال "سعيد" غاضباً : « وتقول عليهم وحوش.. إن الوحوش من تريد أن تعود إليهم في عالمنا.. يا صديقي كنا فوق الأرض تافهين لا نقدر على تغيير شيء، وهذه فرصة لنصنع شيئاً نفتخر به لأنفسنا.. » ، ثم أقترب من "حسام" وقال : « هل تعلم شيء.. لو وجدت خريطة الخروج سأحرقها ولن أعود لأكون مجرد تافه في عالم مليء بالوحوش أصحاب النفوذ أمثال صاحب الفندق وأبن أخته الغبي. »

تحسس "حسام" المخطوطات بيده داخل الحقيبة وهو يقول لصاحبه : « لكني أفضل أن أعود لوحوش تشبهني.. على الأقل يمكنني التأقلم معهم على كوني تافه.. فهذا سيبقيني حياً بدلاً من الموت هنا.. من أجل تفاخر لن أخبر عنه أحد.. لأنه لن يحدث. »

قاطعهم "سالدر" وهو يحمل الطعام قائلاً : « هذا الطعام لكم.. أرسلتني "هانور" لأعطيه لكم.. وكانت فرصتي لأساعدكم على الهرب. » ، بدأ "سالدر" يحرك أذنيه بشكل غريب قبل أن يقول خائفاً : « هيا بنا قبل أن يأتي أحد الحراس.. فهناك حركة بالخارج. »

مد "سعيد" يده لصديقه قائلاً : « هيا يا "حسام".. ربما هذا شيء نفعله حتى لا نظل تافهين طوال حياتنا. »

أمسك "حسام" بيد "سعيد" وقال : « لست موافق على كلامك.. ولكني سآتي معك من أجل إعادتك لصوابك.. وكذلك لأعيد هاتفي. »

أدخل "سالدر" جثة الحارس وأغلق الباب ثم تقدم اتجاه جلد قديم مليء بالثقوب فوق أحد الجدران ورفعه.. كان خلفه فتحة كبيرة في الجدار.. بكل تأكيد كانت هي مصدر تيار الهواء داخل الغرفة، أشار "سالدر" للشابين ليتبعوه.. تبعه "سعيد" مباشرة وهو ينادي على "حسام" الذي وقف يضع بعض الطعام بداخل الحقيبة، وما أن انتهى حتى تبعهم مسرعاً.

تقدم "سالدر" داخل الفتحة التي كانت عبارة عن نفق كبير مظلم داخل الجبل.. سار داخلها زاحفاً كتمساح ضخم، والشابان يسيران خلفه وهم يحنون رؤوسهم حتى لا تصطدم بالسقف.

كان النفق شديد الظلام وتتشعب منه فتحات أخرى.. والشابان لا يقدرون على الرؤية، وتقودهم آذانهم خلف صوت "سالدر" الزاحف أمامهم.

وصلوا في نهاية النفق إلى جدار مسدود.. دفعة "سالدر" بيده فأزاحه وظهر ضوء خلفه.. عبر "سالدر" والشابان من خلفه ثم أغلق الجدار كما كان، ونظر للشابين وقد رفع نصف جسده للأعلى وقال : «هذا منزلي ومنزل جدي "غلدور" الكبير من قبل.»

كان المكان غير مرتب على عكس كل ما رأوه سابقاً في هذا العالم، وجدرانه تشير لكونها مغارة بجبل.. ورائحة نتنة تملأ المكان، وعلى الأرض بقايا طعام وعظام كثيرة تشبه عظام الطيور.. لا يمكن وصف المكان سوى إنه ببساطة مغارة يسكنها غول ضخم.

قال "سالدر" : « جدي "غلدور" من صنع هذا الممر بينه وبين حجرة "أبن الخالدي". »

سأل "حسام" : « لكن أين تؤدي الممرات الأخرى؟. »

-: «كانت تساعد "أبن الخالدي" ليصل لأي مكان داخل بيت الأرون دون علمهم.»

حمل "سالدر" شعلة وحرك صخرة كبيرة أمامه ليصنع فتحه خارج غرفته خرجوا منها.. سأله "سعيد" : « جميع من يسكنون في هذا العالم يعيشون في جماعات.. لماذا أنت تعيش بمفردك ؟. »

قال "سالدر" وهو يعيد الصخرة أمام الباب : « نحن الدرور عملنا هو أن نخدم، والخدم تسكن حيث يعيش من يخدموهم.. لذلك نحن متفرقون بينهم. »

ابتعدوا قليلاً عن المكان، التفت "حسام" ناظراً للخلف ليرى الجبل.. جبل الأرون الأزرق الكبير، وكذلك بيت "سالدر"، كان بالفعل مغارة في جبل مغلقة بصخرة ضخمة.

المكان في الخارج شديد الظلام ماعدا بقعة الضوء التي ترسلها الشعلة بيد "سالدر" رافعاً إياها لترسم نيرانها أضواء على وجهه تجعله أكثر رعباً وهو يتحرك فاتحاً فاه ولسانه متدلي منه.. نظر "سالدر" للشابين قائلاً : « سآخذكم إلى أرض الجور.. رغم إن هذا خطير، ولكنني لن أترككم أبداً. »

قال "حسام" لصديقه : « ألا يمكننا أن نذهب للبحر... ؟!. »

-: « لا.. كما أخبرتك.. فأنا أريد مقابلة زعيمهم. »

رد "حسام" ساخراً : « زعيمهم الذي يقود ثورتهم المجيدة نحو الموت. »

قال "سالدر" : « إذاً سوف آخذكم لزعيمهم عند المعبد. »

أحنى "سالدر" رأسه باتجاه الأرض ليلمسها بأذنيه الكبيرة وكأنه يستمع لشيء، ثم انتصب ورفع نصفه العلوي وأحاط الشعلة بيديه ليخفض ضيائها، كانت أصابع يده متصلة بغشاء جلدي يشبه أجنحة الخفافيش تسمح للنور أن يسطع من خلالها ليصنع ضوء خافت.. ثم مضى للأمام والشابان من خلفه.

ظلوا يسيروا في هذا الظلام طويلاً حتى وصلوا لحقل كبير ممتلأ بنباتات كثيفة وطويله ذات ألوان حمراء وصفراء لها سنابل كبيرة تشبه القمح ولكنها مرتفعة يصل طولها للمتر والنصف.. ساروا بداخله والشابان متعجبان من وجود هذه الحقول أسفل العالم الذي يعيشون فيه.. سأل "سعيد" : « ما هذه النباتات ؟!.»

رد "سالدر" : « هذه حقول السف، الحمراء منها نأكله، بينما الصفراء تأكله حيوانات الخالد. »

-: « ولكن كيف تزرعونه هنا ؟!. »

-: « يضع الجور البذور ويسقونها، ثم يصنعون مشاعل حوله لتضيء الحقل، وتظل هكذا حتى تتحول البذور لنبات أخضر صغير يعيدوا المكان للظلام مرة أخرى. »

سأل "سعيد" : « من أين يأتي الماء ؟!. »

-: « من البحر... »

تعجب "سعيد" قائلاً : « تزرعونها بمياه مالحة... »

سأل "حسام" متلهفاً : « أين هذا البحر.. ؟! هل قريب من هنا.. ؟. »

أجاب "سالدر" : « لا إنه بعيد الأن، ولكنه قريب حيث نحن ذاهبون.. المياه تصل للحقول عن طريق أنفاق نحن الدرور من صنعها. »

كانوا وصلوا لنهاية الحقل حينما أوقفهم "سالدر" وقال محذراً : « انتبهوا من مصيدة الطيور..! إنها خطيرة. »

كانت أمامهم سياج مرتفع تتكون من أغصان كبيرة ذات أشواك ضخمة متداخلة بعضها في بعض.. سأل "حسام" : « من صنع هذا الشيء... ؟!. »

أجاب "سالدر" : « نحن الدرور من نصنعها لحماية الحقول من الطيور.. وكذلك لصيد الطيور، نحن الدرور نأكل لحوم الطير. »

كان "سعيد" يحاول بصعوبة تفادي الأشواك المدببة والتي كان بعضها يصل لنصف المتر فسأل متعجباً : « "سالدر".. من أين تأتون بهذه الأغصان ؟. »

-: « إنها أغصان شجرة الظلال، إنها شجرة ضخمة جداً. »

-: « هل لديكم أشجار أيضاً هنا ؟!. »

-: « نعم.. أشجار مخيفة.. هكذا وصفها "أبن الخالدي". »

عبروا السياج بأمان وخرجوا منه إلى مكان به بعض الشعلات تصنع ضوء خافت في المكان، تنتشر به روائح كريهة وعفنة وكان هناك أشياء مظلمة مفروشة على الأرض.. أخفض "سالدر" الشعلة وأحاطها بيده ليخفض ضوئها وقال : « انتبهوا حتى لا يرانا أحد.»

تحسس "سعيد" الأشياء على الأرض ثم همس قائلاً : « هذه جلود!!. »

-: « يصنعون الملابس هنا.. تصنع الملابس من جلود الفدج والخالد. »

عبرا الشابان خلف "سالدر" هذا المكان وهما يحاولان كتم أنفسهما بقدر المستطاع حتى لا يستنشقا تلك الرائحة الكريهة.. وأكملوا طريقهم في الظلام، و"سالدر" يتحرك يميناً ويساراً والشابان خلفه يتبعون ضوء الشعلة الذي بدأ يخفض أكثر فأكثر.

بعد وقت طويل وصل بهم "سالدر" إلى جدار ضخم مصنوع من صخور صغيرة وُضعت بعضها فوق بعض وقال لهم : « هذا المعبد.. انتظروني هنا سوف أذهب وأخبر زعيم الجور بوجود كم هنا... »

قال "حسام" : « ولماذا لا نذهب معك ؟. »

-: « هذا خطر جداً.. الجواسيس في كل مكان.. » ، ثم أخفض "سالدر" الشعلة وهو يقول : « من الأفضل أن نطفئ النار حتى لا يشعر بكم أحد. »

قال "سعيد" : « لا.. نحن لن نرى شيء بدونها. »

أعطى "سالدر" الشعلة ل"سعيد" وقال : « كونوا حذرين.. لن أتأخر، سأعود أليكم. » ، ثم نظر "سالدر" إلى الجدار وتسلقه زاحفاً بمهارة شديدة ودون إصدار أي صوت.

مر وقت طويل والشابان ينتظران أمام الجدار عودة "سالدر".. جلس "سعيد" مسنداً ظهره للجدار.. و"حسام" واقف يتفحص الجدار بيديه.

قال "سعيد" : « "سالدر" تأخر كثيراً. »

قال "حسام" بقلق : « هذه فرصتنا.. يجب أن نهرب الأن.... »

-: « نهرب!!... لماذا ؟! .. نحن في أمان هنا. »

إنحني "حسام" ليقترب من وجه صديقه قائلاً : « هل أنت فعلاً تثق في هذا الكائن الأصفر.. لن أقول بأني أنا الذكي.. ولكن لم تلاحظ أي اختلاف بين هذا الجدار وجدران أصدقائك الخضر.. آسف أقصد الجور. »

وقف "سعيد" ونظر للجدار وقال : « ماذا تقصد... ؟!. »

-: « لن ألومك.. فلم تكن تهتم هناك سوى بهذه الخضراء الحسناء.. على كل حال فجدرانهم متناسقة وتصنع من صخور منحوتة فتكون ناعمة كالرخام، ويرسمون عليها، أما هذا الجدار فكما تراه أمامك. »

تحسس "سعيد" الجدار وقال بصوت منخفض : « إنه مبني بشكل فوضوي.. مكون من أحجار كجدار قصر الملك. » ، توقف "حسام" ونظر لصديقه وقال بصوت مخيف : « هذا يؤكد بأن هذا الزاحف الضخم كذب علينا.. ونحن لسنا عند أصدقائك الخضر.»

-: « وما هذا المكان ؟!. »

-: « ربما أرض الزواحف.. أو ربما أخبره جده بأن لحم البشر طيب المذاق فيريد أن يجربه.. كل هذا لا يهم، المهم أن نهرب من هنا حالاً. »

نظر "سعيد" إلى صديقة وقال: « وكيف سننجو هنا بدون ماء وطعام ؟. »

أنزل "حسام" الحقيبة من على كتفه وفتحها وهو يقول : « لقد وضعت بها طعام كثير.. وبالنسبة للمياه فهذه قربة المياه كنت أخذتها من قصر الملك.. والأن كل ما نريده أن نجد طريق إلى البحر. »

-: « البحر قريب من هنا.. "سالدر" قال بأن البحر قريب من المكان الذي سنصل إليه.. أو.. ربما يكون كذب علينا أيضاً. »

أعاد "حسام" الحقيبة لكتفه مرة أخرى ووقف بجوار صديقه وهو يشير بيده قائلاً :« على كل حال سوف نسير عكس الطريق الذي أتينا منه.. هيا بنا. »

سار الشابان بعيداً عن الجدار في قلق والشعلة معهما تنير لهم الطريق.

****

١٤

المعبد

سار الشابان مسافة ليست طويلة دون أي دليل على طريقهم.. كان "سعيد" متقدم يحمل الشعلة في يده بينما "حسام" يسير خلفه مرهقاً ينظر للأرض منتبهاً حتى لا يتعثر في شيء متبعاً الضوء خلف صديقه.

فجأة توقف "سعيد" وهو يشير بيده للأمام قائلاً : « "حسام".. أنظر..!! ما هذا الضوء البعيد في السماء ؟!!. »

رفع "حسام" رأسه وهو يقول : « أي سماء.. إننا تحت.. ما هذا ؟!!!. »

كان الضوء بعيداً في الأعلى أمامهم يملأ المكان.. ضوء خافت كاضوء الفجر في السماء.. كان أمامهم ربوة من رمال عالية أسرع الشابان في تسلقها يقاومان غوص أقدامهم بداخل الرمال الناعمة حتى عبورها وسقط "حسام" على الأرض من الجانب الآخر من الربوة وقال وهو يحاول النهوض : « الرمال هنا شديدة الرطوبة.. لابد إننا نقترب من البحر. »

ساعده "سعيد" على النهوض، وهو يقول : « أنظر.. إننا على الشاطئ. »

كانوا على الشاطئ والبحر أمامهم بالفعل.. الضوء في الأعلى ينعكس على صفحات مياه البحر من بعيد في مشهد جميل.. تقدم الشابان ليلامسا المياه بأقدامهم.. انحنى "سعيد" وتذوق المياه وقال مندهشاً : « هذه المياه عذبة!.. لقد توقعت هذا.. كل شيء هنا غريب. »

تذوق "حسام" المياه أيضاً وقال : « كل هذه المساحات الشاسعة تحت الأرض.. تحت أقدامنا.. حتى يوجد بحر واسع.. لا يعلم أحد شيئاً عنها سوانا.. سوف نخرج لنخبر العالم باكتشافنا.. فهذا البحر بكل تأكيد هو مخرجنا من هنا. »

-: « وكيف سنعبر هذا البحر لنصل لعالمنا. »

-: « سنجد حل أكيد.. لكنني الأن متعب جداً، كل ما أريده هو مكان أمن نستريح فيه. »

عاد الشابان نحو الربوة الرملية.. جلس "حسام" مسنداً ظهره إليها وفتح الحقيبة وأخرج بعض الطعام.. بينما "سعيد" يصنع حاجز من الرمال حولهم ليحاول إخفاء ضوء الشعلة لحمايتهم.. ثم جلسا يستريحا ويتناولان الطعام، وأسند "حسام" ظهره للربوة ناظراً للبحر أمامه وهو ينفس دخان سيجارته من فمه.

بعد وقت قليل وصل لأسماعهم أصوات قادمة من بعيد.. وقف "سعيد" لينظر بهدوء شديد وقد تمكن في هذا الضوء الخافت من رؤية أحد الدرور يتحسس الأرض وهو يزحف ومتجهاً نحوهم.. عاد "سعيد" لصاحبه وهو يهمس خائفاً :«لقد وجدنا.. "سالدر" قادم إلينا.»

فزع "حسام" وأمسك الشعلة وقال غاضباً : « هذا الجبان سأهدده بالنار. »

وصل إليهم صوت "سالدر" يقول : « إنهم قريبون من هنا.. لم يبتعدا. »

لمح "حسام" من بعيد شبح شخصين قادمين وراء "سالدر" فسرت في بدنه رعدة فعاد وهمس لصديقه وهو يكافح لإمساك صوت أنفاسه من شدة الخوف : « ليس بمفرده...»

كاد الشابان أن يموتا رعباً وقد اقترب "سالدر" منهم وظهرت ملامحه على ضوء الشعلة في يد "حسام".. كان واقفاً وفاتح فمه يلهث قائلاً : « وجدتهم.. إنهم هنا... »

ثم وصل إلى سمعهما من خلفه صوت أنثوي يقول : « لقد قلقنا عليكم... »

كانت "كوشي" في الخلف تقف بجوار "ساود".. فرح "سعيد" لرؤيتهما، بينما "حسام" كان مازال يحاول أن يستعيد أنفاسه.. سألهم "سالدر" : « لماذا تركتم مكانكم ؟!. »

أجاب "سعيد" متردداً : « أه.. في الحقيقة .. ظننا إنك.. »

وقف "حسام" مسرعاً وقاطعه قائلاً : « سمعنا أصوات غريبة.. ففزعنا.. لذلك أتينا إلى هنا.. هذا كل ما حدث. »

قال "ساود" :«من الجيد إنكم لم تبتعدا كثيراً.. وإلا تمكن منكم حرس البحر من الأرون.»

تعجب "حسام" قائلاً : « الأرون يحرسون البحر.. أليسوا علماء فقط ؟. »

ردت "كوشي" : « إنهم علماء.. ولكنهم يكلفون أنفسهم بحراسة البحر. »

سأل "سعيد" : « ومما يحرسون البحر ؟!. »

ضحك "ساود" قائلاً : « إنهم لا يحرسون البحر من شيء.. بل يحرسوننا نحن منه، ويراقبون سفن الصيد. »

سأل "حسام" متلهفاً : « أهناك سفن تبحر فيه...؟!. »

قال "سالدر" : « بالتأكيد.. نحن الدرور أسياد المياه. »

قاطعة "كوشي" الحوار قائلة : « هذا المكان ليس آمن.. هيا بنا إلى المعبد. »

قال "سعيد" وهو يمد يده ليجذب "حسام" : « هيا يا "حسام"... »

وقف "حسام" وهمس في أذن صديقة قائلاً : « لكن.. البحر وهذا الضوء.. علينا أن نفكر في طريقة للخروج من هنا. »

قال "سعيد" : « لا تقلق، فهذا ما أفعله.. علينا مساعدتهم ليثقوا بنا ويساعدونا.. ثق بي. »

عادوا جميعاً مرة أخرى إلى جدار المعبد، لكن هذه المرة اتجهوا نحو مكان منخفض يوجد هناك فتحة في الجدار تقدمت "كوشي" والباقي خلفها.. وكان "حسام" يتحسس الجدار قبل أن يسأل : « لماذا هذا الجدار مبني بشكل مختلف عن باقي أبنيتكم ؟!. »

رد "ساود" الذي كان يسير في أخر الصف : « إن المعبد من المباني القديمة التي بُنيت في عهد "يلعاد".. إن هذا معبد الساحر.. ومع مرور الوقت، ولا أحد يعلم السبب أصبح هذا المعبد تحت يد الجور. »

اشتركت "كوشي" في حوارهم قائلة : « يتحدثون بأن هذا المكان كان يجلس به "يلعاد" ينتظر رُسل الساحر إليه.. كانوا يأتون إليه باستمرار. »

قال "ساود" ببرود : « لكن هذا مجرد كلام فقط .. لم يراهم أحد سابقاً. »

وراء الجدار كان المكان معتم تماماً إلا من ضوء شعلة بعيدة تتحرك، إقتربوا منها وكانت بيد أحد الجور يقف أمام مدخل سري للمعبد مروا جميعاً من المدخل ليسيروا في نفق طويل وصولاً إلى بهو دائري كبير تملأه المشاعل جدرانه.. تركتهم "كوشي" وذهبت وهي تخبرهم بأنها ستعود مرة آخرى، بينما تقدم "ساود" مسرعاً باتجاه أحد الأبواب ليفتحها وهو يشير لهم بإتباعه والدخول لهذه الغرفة.

دخل الجميع الغرفة.. كانت واسعة ومربعة، كل جدار له لون مختلف عن الآخر، وكذلك المشاعل نيرانها ذات ألوان متطابقة للون الجدران الأربعة، كل جدار له لون مختلف يتجه اللون إلى الأرض ليأخذ شكل مثلث قاعدته إلى الجدار ورأسه في منتصف الغرفة، تلتقي رؤوس المثلثات الأربعة في المنتصف حيث حجر أسود اللون مربع مرتفع عن الأرض قليلاً وفوقه صندوق خشبي صغير بني اللون، نقش عليه نقوش كثيرة غريبة الشكل.

قال "ساود" : « هذه الحجرة محرمة.. لا يدخلها أحد.. إنها غرفة القادة. »

قال "سالدر" بحماس وهو ينظر حوله منبهراً : « مستحيل.. أنا "سالدر بن فازور" في حجرة القادة من يصدق هذا... ؟!!. »

سأل "سعيد" : « وما هذه الحجرة ؟. »

رد "سالدر" قائلاً : « هنا يجتمع القادة الأربعة لكل شعب كل سبعمائة سرد، ويظلوا مجتمعين بها لمدة سبع سردات. »

همس "حسام" في أذن صديقه سائلاً : « ما هذه السردات؟!. »

انزعج "سعيد" ورد غاضباً : « لا أعرف ... ربما هذا توقيتهم. »

قال "ساود" : « يجلس كل قائد في اللون الخاص بشعبه.. أنظروا.... » ، ثم اتجه ناحية الجدار الأخضر ووقف هنا فلم يظهر منه شيئاً سوى ملابسه لاختلاف لونها عن الأخضر.

فجأة فُتح باب الغرفة ودخلت "كوشي" ومعها القائد العجوز "شيراد" وزعيمهم "حرود".. حياهم القائد وجلسوا جميعاً على الأرض، بينما "حرود" اقترب من "سالدر" وقال له : « شكراً لك "سالدر بن فازور".. على موقفك الشجاع اتجاه الثورة. »

-: « إنه شرف لي ولأجدادي.. ولعائلتي كذلك من بعدي. »

قال "حرود" : « لن ننسى موقفك هذا.. وتأكد بأننا سنجازيك عنه بعدما تنجح ثورتنا.»

ابتسم "حسام" ساخراً من ثقة "حرود" في الانتصار.. ثم اتجه نحو "كوشي" وطلب منها بصوت منخفض : « هل يمكن أن تسألي القائد عن البحر.. إذا كان لديه إي معلومات عنه، أو عن الضوء الذي هناك ؟. »

اقتربت "كوشي" من القائد وسألته هامسه.. كان القائد كبير في السن وتبدو على وجهه الهدوء الحكمة.. ظل منصتاً باهتمام ل"كوشي" قبل أن يجيب ولم يتغير سكونه أو تعابير وجه.. ثم نظرت "كوشي" إلى "حسام" وقالت: «يقول بأنه بحر كبير لا يوجد به سوى الماء والوحوش.. والضوء موجود منذ زمن بعيد لا يعلم أحد مصدره أو سبب وجوده هناك. »

طلب منها "حسام" أن تسأله عما إذا كان أحد استطاع أن يصل لهذا الضوء مسبقاً.. ردت عليه "كوشي" بعدما سألت القائد قائله : « يقول بأن هناك الكثير وصلوا إليه.. ولكن كما أخبرك إنه مجرد ضوء غريب فقط .. لم يكن موجود قديماً.. ويقول بأن هناك أحد الأرون سمح للدرور أسياد البحر الذهاب وتفقد هذا الضوء أكثر من مرة.. وعادوا ولم يجدوا شيئاً.. حتى إنه ذهب معهم في سفنهم ولكنهم لم يعودوا أبداً.. وعلمنا أنه يوجد هناك وحوش خطيرة جداً وليست مسالمة. »

قال "حسام" متعجباً : « كيف يكون مجرد شيء عادي؟.. إنه يملئ المكان فوق البحر كله.»

قالت "كوشي" : « لا.. هذه المنطقة من البحر فقط المضيئة.. أما باقي الأماكن الأخرى في البحر مظلمة. »

خلع القائد سلسلة من رقبته ثم أخرج من داخلها لفافة ورق وأعطها ل"كوشي" وتحدث معها قليلاً.. أخذت "كوشي" الورقة وأعطتها ل"حسام" وهي تقول : « هذه اللفافة من إرث "ابن الخالدي" وقد احتفظوا بها بعيداً عن الأرون، وقيل أن "أبن الخالدي" أخبرهم أن هذه الرسالة عن البحر.. وأوصاهم أن يحفظوها. »

فتح "حسام" اللفافة وهو يعقد آماله عليها ولكن ما أن فتحها حتى عاد وجهه للعبوس مرة أخرى .. فقد كُتب بها...

{ البحر لا نهاية له .. خطير جداً .. وحوش مفزعة .. أغرب بكثير من هذه المخلوقات .. لا تقترب منه. }

كان الخط في الرسالة واضح على عكس باقي مخطوطات "أبن الخالدي".. وكذلك الرسالة كتبت باللغة الإنجليزية على ظهر اللفافة.. ولكن ما كتب فيها كان سلاح الإحباط الذي استطاع به أن يدمر ما بقي من أمل لدى الشابين.

سيطر الإحباط على وجه "حسام" وهو جالس بجوارهم، و"حرود" يتحدث عن الثورة وظلم الطوس لباقي الشعوب وعدم أحقيتهم بالحكم.. وتحدث عن قدرتهم على الانتصار قائلاً :«أعدادنا تفوقهم.. وليس لهم حلفاء.. والأرون لن ينصروهم، فهم يتبعون من يحكم..»

قال "ساود" : « السلاح والقوة إلى جانبنا... »

أكمل "حرود" : « وكذلك النبوءة تتحقق.. ورسل "أبن الخالدي" عادوا ليكونوا معنا. »

قالت "كوشي" وهي ممسكة بهاتف "حسام" : « وأسلحتهم أيضاً... »

مسح "حسام" الإحباط من على وجهه ومد يده ليأخذ هاتفه من يد "كوشي" وهو يقول : « إحترسي.. إنه سلاح خطير.. لا يجب أن تلوحي به هكذا. » ، أمسك "حسام" الهاتف وهو يحاول مرتبكاً أن يشغله فأضاء في يده وقال فرحاً : « الحمد لله مازالت البطارية تعمل.. لم يستعطوا أن يشغلوه .. شكراً لمخترع كلمة السر في الهواتف.»

اندهش "ساود" وهو ينظر للهاتف المضيء وقال : « شيء مذهل!!. »

قال "حسام" : « الأن أريد منكم شيئاً.. أتتذكرون المكان الذي وجدونا فيه أول مرة.. أريدكم أن ترسلونا إلى هناك.. فهذا السلاح يعمل هناك بشكل.... »

قاطعه "سعيد" قائلاً : « ماذا.....؟. »

انفجر "حسام" غاضباً في وجه وهو يصيح : « أصمت أنت الأن... أرجوك. »

قال "حرود" : « مكان اجتماعنا.. عند قبة الخالدي. »

قال "سالدر" : « إنه أعلى مكان في عالمنا.. أكتشفه "أبن الخالدي" وهو من سماه بذلك. »

نظر "حسام" إلى "سالدر" وقال : « هل يمكنك أن تأخذنا إليه... »

قال "ساود" : « خطر جداً.. وخصوصاً الأن.. والطوس في كل مكان يبحثون عنكم. »

قال "حرود" : « لقد تركنا هذا المكان، وأصبحنا نجتمع هنا داخل المعبد حتى نستعد للمعركة التي باتت قريبة جداً. »

ظل "حرود" يتحدث معهم عن الثورة والمعركة والتخطيط لها.. لم يكن "حسام" منصتاً لما يقوله "حرود" ولم يكن مهتماً بأي شيء.. كان حزيناً بالإضافة لكونه مرهق ومتعب، فاتجه بجوار أحد الجدران وافترش الأرض واضعاً الحقيبة أسفل رأسه وغط في نوم عميق.

****

١٥

الافتراق

استيقظ "حسام" نشيطاً، والسكون يخيم على الغرفة برحيل الجميع.. نظر حوله يتفقد أرجاء الغرفة، كانت معتمة قليلاً ولم يستطع رؤية أحد بها سوى صديقه "سعيد" كان نائم بجواره على الأرض.. اعتدل "حسام" وأمسك بحقيبة "أبن الخالدي" التي معه وتفقد الأوراق التي بها ليطمئن على وجودها، وكذلك الطعام، ثم علقها فوق كتفه.

وقف "حسام" وتسلل بهدوء وحذر إلى منتصف الغرفة نحو الصندوق الخشبي الكبير، وبدأ يتفحص النقوش البارزة التي عليه من الخارج، واندهش حينما لم يجد صعوبة في فتحه فلم يكن الصندوق مغلقاً.. وزادت دهشته حينما لم يجد بداخله كنوز أو ذهب، ولكن كل ما بداخله مجرد علبة خشبية صغيرة منقوش عليها رسومات تشبه الهيروغليفية.. مد يده والتقط العلبة وبدأ يتفحصها بعينيه جيدا، ثم حاول أن يفتحها فلم يستطيع.. ظل يهزها ولكنها لم تصدر أي صوت.. ثم بحرك عفويه وجد نفسه دسها داخل شنطته بسرعة، ولمعت عينيه وقال في نفسه : « بكل تأكيد هذه العلبة ستباع بثمن باهظ حينما نعود للأرض.. وكذلك هي دليل على وجود هذا العالم هنا. »

أغلق "حسام" الصندوق وتركه كما كان، وهو يراقب المكان حوله ألا يكون رآه أحد، ثم اتجه عائداً إلى "سعيد" ليوقظه، ولكن وهو في طريقه تعثر في شيء على الأرض لم ينتبه له.. اصطكت أسنان "حسام" من الفزع وهو ينظر لما تعثر فيه.. كان "سالدر" نائم في المنطقة الصفراء ولا يمكن تمييز وجوده لذلك لم ينتبه له "حسام" وتعثر فيه وهو نائم فأوقظه.. وبدأ "سالدر" يحدث أصوات غريبه وهو يستيقظ.. تأسف "حسام" له ثم أكمل طريقه إلى "سعيد" الذي أفاق على صوت "سالدر".

جلس "حسام" على الأرض بجوار "سعيد" وأخرج الهاتف من جيب بنطاله وقال له هامساً : « "سعيد".. علينا الذهاب الأن لقبة الخالدي هذه.. هي سبيلنا الوحيد للعودة إلى عالمنا.. مع وجود الهاتف معنا.. هناك يمكننا التقاط إشارة. »

رد عليه "سعيد" ساخراً : « وما هي خطتك العبقرية للوصول إلى هناك ؟!. »

قال "حسام" وهو يشير إلى "سالدر" : « سوف يساعدنا.. إنه يعرف الطريق إليها. »

-: « لكنهم قالوا بأن الطريق إليها خطير.. وخصوصاً الأن، بعد هروبنا من الأرون.. والطوس وجواسيسهم منتشرين في كل مكان يبحثون عنا نحن الثلاثة.»

-: « "سالدر" يعرف الأماكن في هذا العالم جيداً.. أتى بنا هنا دون أن يرانا أحد.. أنه محترف ويمكنه أن يساعدنا في..... »

قاطعه "سعيد" قائلاً : « يساعدنا.. الأن لم يعودوا وحوش.. ولا تخشى على الأرض منهم إذا عرفوا المخرج إليها. »

رد "حسام" محتنقاً : « لقد أنهينا هذا الجدال بأن العالم تغير.. يمكن للجيوش فوق الأرض أن يلقوا عليهم قنابل ويقتلوهم دون أن يعرفوا من قتلهم حتى. »

قال "سعيد" وهو يعود لوضع النوم مرة أخرى : « "حسام" نهاية الكلام.. سنظل هنا.. لا يجب أن نترك الجور في هذا الوقت. »

رد "حسام" متهكماً : « هل سنحارب معهم بسلاحنا.. الهاتف المحمول الفتاك.. لن يفيدهم وجودنا، ولكن حينما نخرج من هنا، أو نقدر على التقاط إشارة يكون هذا مفيد لنا ولهم.. سنخبر الجيش بأنهم طيبون، فيساعدوهم بأسلحتهم.. حُلت المشكلة.. هيا بنا. »

قال "سعيد" غاضباً : « أنت تسخر مني.... »

-: « ماذا أفعل؟!.. أنت تريد الموت معهم من أجل ماذا؟ .. لا شيء. »

-: « من أجل ثورتهم.. وحريتهم. »

-: « وما هدف ثورتهم هذه؟!.. حتى إن نجحت هم يريدون أن يحكموا ويستعبدوا الآخرين كما استعبدوهم.. ويبدأ الحمر بعد فترة طويلة من الظلم بأن يفكروا بالثورة عليهم.. لأن وقتها سيكونون مظلومين ومعهم الحق في هذا.. وحينما يعودوا للحكم.. سينتقمون، ويعود الآخرين كما كانوا وهكذا تظل الدائرة تدور بينهم.. صديقي لا وجود لظالم دون وجود مظلوم، والعكس صحيح... »

-: « لا.. "حرود" سيحكم بالعدل بينهم جميعاً. »

-: « رجل يحلم بالحكم ولو على دماء شعبه.. هذا المنافق.. لا يتحدث إلا عن مساوئ الحمر واستعبادهم لشعبه.. حتى يزيد شعبيته بكراهية من حوله للحمر، وظلمهم لشعبه.. لم يتحدث عما يميزه عنهم ولا عما سيفعل لهم.. أو عما سيفعله بالحمر إذا انتصر.. إنه حتى لا يثق في النصر.. لم يتحدث أبداً عما سيفعله عندما سينتصرون، أو كيف سيحكمون؟.. كل كلامه أن الحمر أشرار. »

اعتدل "سعيد" وقال منفعلاً : « ولكنهم أشرار بالفعل.. إنهم يستعبدونهم. »

قال "حسام" : « هذا ما أتحدث عنه.. الكراهية من تحرك الناس وليس هذا الشخص.. والكره يعميهم عن حقيقة هذا المنافق الحالم بالحكم وأن مات الكثير من أجل حلمه.. وينسوا حقيقة كونهم ضعفاء جدا.. الحمر سيبيدوهم دون رحمة.. لن ينفعهم حماسهم مالم يكونوا قادرين على خوض معارك.. هيا يا صديقي تعال معي ليس لنا دخل بحروبهم. »

-: « لن أرحل.. وهذا نهاية كلامي. »

-: « ولكنك إذا ذهبت معي ستعطيهم فرصة للبقاء.. ربما يفكرون في الرجوع عن ثورتهم عندما نرحل.. وهذا أفضل للجميع.. على الأقل لن يموت منهم أحد.»

قاطعه "سعيد" :« سوف يكملون ثورتهم.. لن أرحل.. إذا أردت الرحيل فأرحل وحدك.»

صاح "حسام" غاضباً : « أنت مجنون.. الغزلان مهما زادت أعدادها واشتدت قرونها لا يمكنها مواجهة الأسود.. تذكر هذا جيداً.. أنا ذاهب. »

كان "سالدر" يتابع حديثهم حينما التفت "حسام" له قائلاً : « "سالدر".. هل يمكنك أن تصلني لمكان قبة الخالدي ؟!. »

قال "سالدر" متردداً : « ولكن... ولكني يجب أن أحرص على سلامتكم معاً.. لا أريد أن أترك أحداً منكم. »

قال "سعيد" : « لا تقلق "سالدر" .. أذهب معه .. فأنا في أمان هنا مع الجور.»

انحنى "سالدر" وقال : « كما ترى سيدي. »

حمل "حسام" حقيبته على كتفه وقال : « هيا بنا "سالدر".. » ، ثم نظر لصديقه يودعه قائلاً : « حاول ألا تموت.. سأعود مرة أخرى لأخرجك من هنا.. سلام.»

ابتسم "سعيد" وهو يقول : « لا تتأخر.. فأمامي حرب هنا. »

ابتسم الصديقان ابتسامات حزينة قبل أن يشير "سالدر" ل"حسام" بإتباعه عند الباب وخرجا متسللين إلى البهو الدائري الكبير وكان خالياً والسكون يحتله حتى بعض المشاعل قد انطفئت فأصبح البهو معتم قليلاً.. نظر "سالدر" إلى "حسام" وهمس له قائلاً : « لا يجب أن يرانا أحد، إنهم لن يسمحوا لك بالرحيل، وخصوصاً إنهم يضعون أمالهم عليكم. »

قال "حسام" : «وصولي لقبة الخالدي سيكون مفيد لهم أكثر من وجودي هنا.»

هز "سالدر" رأسه وقال : « أعلم هذا.. ولكنهم لن يفهموا هذا، لذلك دعنا نخرج من هنا في حذر.. اتبعني بهدوء. » ، ثم تسلل "سالدر" نحو باب النفق و"حسام" من خلفه

حتى اقتربا من نهايته توقف "سالدر" وهمس ل"حسام" قائلاً : « انتظرني هنا حتى أجد طريقة للتخلص من حارس المدخل. »

سأله "حسام" بقلق : « هل ستقتله؟. »

رد "سالدر" نافياً : « لا.. لا سوف أجد طريقة.. لا تقلق.. ولكن حينما يرحل أخرج مسرعاً. » ، ذهب "سالدر" نحو الحارس وتحدث معه قليلاً فترك الحارس مكانه وذهب مبتعداً عن المدخل، وأصدر "سالدر" صوت صفير ففهم "حسام" الإشارة وذهب مسرعاً إليه، وتوجهوا بحذر نحو الفتحة التي بجدار المعبد.

ما أن عبروا الجدار خارج المعبد وقف "سالدر" وقال بصوت منخفض : « سيدي.. الطوس منتشرون في كل مكان لذلك يتوجب علينا الحذر.. كل ما أريده منك أن تسمع ما أقوله لك.. من فضلك. »

نظر "حسام" له وابتسم قائلاً : « هذا أكيد.. فأنت الخبير هنا.. ولكن أريد أن أعرف.. ماذا قلت للحارس ليبعد عن المدخل. »

ضحك "سالدر" وهو يقول : « رجال الجور.. لا يمكنهم مقاومة النظر إلى نساء الأرون.. أخبرته بأن بعض نساء الأرون يقفن عند مدخل المعبد، ويمكنه الذهاب لرؤيتهم بينما أنا سأحرس المدخل حتى يعود. » ، ثم ضحك "سالدر" بصوت عال و"حسام" يشاركه الضحك على حيلته الماكرة.

****

١٦

الهجوم على المعبد

جلس "سعيد" على أرضية غرفة القادة بمفرده غارقاً في التفكير بكل ما حدث، يفكر بسقوطهم هنا في هذا العالم، واكتشافهم للمغارة في الصحراء، وما السبب الذي جعلهم يدخلونها؟.. ولماذا ساروا من هذا الطريق من البداية؟.. ولماذا رأوها؟.. تذكر "سعيد" أخر يوم له مع "حسام" فوق الأرض وكيف كان يوم مثالي.. تذكر رحلة السفاري مع السياح وهذه الفتاة الإيطالية.. كانت عينها جميلة، وابتسامتها تخفي الكثير من الغموض الذي أراد أن يتسنى له الوقت الكافي ليسأل عنه، ولكن للأسف لن يراها مرة أخرى ومن المؤكد أنه لن يرى إنسان مرة آخرى فيما تبقى من حياته في هذا العالم المندثر تحت الأرض.. أخذته ذكرياته إلى أخر يوم دراسة في الجامعة مع صديقه "حسام" وأحلامهم وطموحاتهم، ولكن لم يتحقق منها شيء.. لم يجدوا أمامهم أي فرصة للعمل سوى بهذا الفندق.. وسار كل شيء عكس ما تمناه ولكنه كان يسير بشكل طبيعي.. على الأقل كان لا يزال صديقه "حسام" بجواره، والأن كل منهم بمفرده يسير في عالم غريب لا يعرف عنه شيء.

ظل "سعيد" سارحاً بذكرياته حتى قطع حبل أفكاره أصوات أقدام "كوشي" وقد دخلت الغرفة ولم ترى أحداً غيره فسألته متعجبة : « أين رفيقك و"سالدر" ؟!. »

-: « ذهبوا لقبة الخالدي... »

فزعت "كوشي" وقالت: «ماذا؟؟.. لماذا تركنا؟.. الطريق إلى هناك خطر جداً.»

أكمل "سعيد" قائلاً : « أنه لم يتركنا، ولكنه ذهب كي يساعدكم في ثورتكم.. هناك يمكنه طلب المساعدة لكم، لكي تنجح ثورتكم.. أنتم تستحقون ذلك. »

-: « جميع الجور يضعون آمالهم عليكم.. فوجودكم الأن يجعلنا نثق في النصر.»

ابتسم "سعيد" وهو يقول : « لكل شيء سبب، وربما سبب سقوطنا هنا في هذا الوقت تحديداً كان من أجل مساعدتكم للخلاص من الظلم.. ربما لا نستطيع مساعدتكم في النصر، ولكن نستطيع إبقاء الأمل بداخلكم. »

قالت "كوشي" : « ولكن أنتم رسل "أبن الخالدي" لخلاصنا.. أليس كذلك؟!. »

تنهد "سعيد" ورسم على وجهه أبتسامه حزينة وقال : « في الحقيقة.. نحن سقطنا هنا بالصدفة.. لقد رأى "حسام" الرسالة ولكن لم نفتحها، وهو أيضاً من رأى المدخل لعالمكم ووصلنا إلى هنا.. ولو أننا كنا نعلم بكل هذا.. ما فعلنا. »

ردت "كوشي" غاضبة : « ماذا؟؟.. ما الذي تقوله؟. »

قال "سعيد" معتذراً : « أسف.. ولكن هذه الحقيقة.. نحن أضعف مما تعتقدين، ولكننا نريد مساعدتكم، وكل الآمال الأن تتوقف على نجاح "حسام" في مهمته، وكذلك على عزمكم في الخلاص من الظلم الواقع عليكم. »

جلست "كوشي" على الأرض بجوار "سعيد" وقالت بحزن : « الوصول لقبة الخالدي صعب جداً في هذا الوقت.. الطوس ينشرون جنودهم في كل مكان بحثاً عنكم. »

-: « لا تقلقي سوف ينجح.. وكذلك معه "سالدر" يساعده، فهذا سيساعدكم في ثورتكم، وكذلك أملنا الوحيد للخروج من هذا العالم بعد أن ضاع أملنا في البحر.»

أحنت "كوشي" رأسها وقالت في خجل : « هناك شيء كان يجب أن أخبرك به ولكن... » ، ثم صمتت قليلاً.

سألها "سعيد" متعجلاً :« ما هذا الشيء؟.. هل حدث شيء ل"حسام" ؟. »

ردت "كوشي" مسرعة : « لا.. لا.. ولكن ما أود أن تعرفه هو أن رسالة "ابن الخالدي" عن البحر ربما تكون غير صحيحة. »

اندهش "حسام" وقال : «هل هنا من يعرف يكتب لغتنا غير "أبن الخالدي" ؟!.»

-: « لا.. ولكن هذه الرسالة لم نأخذها نحن من "أبن الخالدي". » ، ثم صمتت...

انفجر "سعيد" غاضباً وصاح قائلاً : « لماذا توقفتي؟.. من أين أتيتم بالرسالة؟.»

قالت "كوشي" مترددة : « نحن لدينا جاسوس من الأرون.. جميعنا نثق به.. هو من أحضر هذه الرسالة، وقال أنه سرقها من مكتبة الأرون، وهي رسالة مهمة عن البحر ويجب أن نعطيها لكم لتطلعوا عليها... »

سألها "سعيد" : « وهذا الجاسوس يعلم بأننا هنا..؟ »

-: « نعم.. فنحن جميعاً نثق فيه. »

-: « ولماذا يكذب إ؟!.. بما أنه يعلم بأننا هنا.. لو كان خائن لأخبرهم بمكاننا..» ، توقف "سعيد" قليلاً يفكر ثم قال : « ولكن الغريب معرفته بما في الرسالة وهو لا يعلم قراءتها. »

قالت "كوشي" لتكمل استنتاج "سعيد" : « وكذلك حكى جدي لي بأن "أبن الخالدي" وصل إلى هناك بمساعدة من بعض متمردي الأرون، أنها أرض بها نور... »

قاطعها "سعيد" قائلاً : « هذه أرضنا... لماذا لم تخبرونا بهذا ؟. »

-: « لا.. أن "أبن الخالدي" عاد هارباً منها وقال بأنها أرض ليس بها ظلام.. ضوء دائم على عكسنا.. وقال أن بها أكثر المخلوقات شراً في العالم... »

وقف "سعيد" وقال بفزع : « هذه الكائنات التي خاف "أبن الخالدي" على الأرض منها. »

أكملت "كوشي" قائلة : « حينما عاد "أبن الخالدي" أختبئ في هذه الحجرة، وأخبرنا أن لا يذهب أحد إلى هناك.. وترك خريطة قبل أن يرحل لتساعد من يريد الخروج من هنا. »

سأل "سعيد" متلهفاً : « وأين هذه الخريطة؟. »

-: « هنا.. نحتفظ بها في هذا الصندوق.. » ، وأشارت "كوشي" إلى الصندوق الخشبي الكبير الموجود في منتصف الغرفة.

جري "سعيد" مسرعاً نحو الصندوق ولم يجده مغلقاً ففتحه ولكنه لم يجد شيء بداخله وبدأ يبحث داخله وهو يتحسسه بيده ثم قال بذهول : « أنه فارغ..! »

نهضت "كوشي" ووقفت تنظر بقلق داخل الصندوق وهي تقول : « هذا مستحيل.. لا يمكن لأحد أن يدخل هنا.... »

وقف "سعيد" ينظر بإحباط شديد داخل الصندوق الفارغ، ثم قال غاضباً : « تتركون رسالة بهذه الأهمية داخل صندوق دون حراسة أو مجرد قفل بسيط..! »

ردت "كوشي" والحيرة تملكها : « لا أعرف كيف يحدث هذا.. لا يسمح لأحد أن يدخل غرفة القادة.. لا يمكن لأحد أن يقترب من هذا الصندوق.. لا أحد. »

قال "سعيد" بصوت منخفض وكأنه يتحدث لنفسه : « "حسام".. بكل تأكيد هو من فعلها.. ولكن لماذا لم يخبرني بذلك؟!.. لم يخبرني بأنه وجد خريطة العودة.. لماذا؟!.. »

ردت "كوشي" : « صديقك من فعل ذلك..!! »

بينما "سعيد" و"كوشي" مصدومان لما حدث.. دخل الغرفة أحد شباب الجور، والفزع يسيطر على وجهه .. نظر لهم وقال : « لقد أقتحم حرس من الأرون المعبد ويقتلون كل من يقف أمامهم... » ، ثم أكمل الشاب وهو يحاول التقاط أنفاسه قائلاً : « لقد غادر الكثيرين نحو المعسكر ومعهم الزعيم. »

سأله "سعيد" متعجباً : « وهل للأرون حرس؟!!. »

التقط الشاب أنفاسه وقال : « نعم.. ومعهم جنود سمعت أنهم من جيش الساحر يمتلكون أسلحة غريبة يقتلون من يقابلهم من رجال ونساء. »

كانت "كوشي" اتجهت مسرعة نحو باب الغرفة لتغلقه وهي تقول : « لا تقلقوا.. ليس هناك من لديه جرأة ليقتحم حجرة القادة.. إنها مقدسة. »

غمغم "سعيد" ساخراً : « لكنها لم تكن كذلك حينما سرقت الخريطة. »

كانت الأصوات بالخارج تزداد ويزداد معها الصياح والصرخات.. جلس "سعيد" و"كوشي" والشاب على أرضية الغرفة والخوف ينازع مخيلاتهم بما سيلاقونه إذا أقتحم حرس الطوس الغرفة، وتزايدت دقات قلوبهم لتزداد قوة حتى أحسوا بأن قلوبهم تكاد تخترق صدورهم مع كل دقة.

الضجيج بالخارج يزداد ويعلوا أكثر فأكثر و"سعيد" يحدث نفسه هامساً :- « أي قدسية يمكنها منع أحد بوحشية الطوس من اقتحام هذه الغرفة. »

وصل لأذن "سعيد" أصوات طلقات رصاص بالخارج فاختلطت مشاعر الخوف بداخله بمشاعر التعجب والاندهاش.. كيف يمتلك الطوس أسلحة حديثة مثل هذه؟!.. وكيف وصلت إليهم؟!!.. بدأ عقله يفرز الكثير من الأسئلة، ولكن دون إجابات حتى وصل إلى سمعه أصوات جعلت شعوره بالغرابة يزداد ليطغى على شعور الخوف بداخله ويحوله لقلق شديد.. كانت أصوات رجال يتحدثون ويصيحون.. يتحدثون باللغة الإنجليزية، بدا الصوت واضحاً ل"سعيد" فظل جالساً مندهشاً حتى سيطر الفضول عليه ووقف وتقدم نحو الباب ليفتحه، ولكن "كوشي" من خلفه تجذبه بقوة وهي تقول : « ماذا تفعل؟!.. هل جننت؟!. »

رد "سعيد" وهو يشير لها إلى الخارج : « هذه الأصوات!!. هذه اللغة أنا أعرفها. »

قال الشاب : « حرس الساحر.. يرتدون السواد.. ويحملون أسلحة غريبة. »

لم يجد "سعيد" الجواب الكافي لفضوله، ولكن شعوره بالخوف بدأ يزداد قوة ليدفن الفضول بداخله، ويعود "سعيد" ليجلس دون معرفة حكاية هذه الأصوات.

مضى وقت طويل عليهم في الغرفة حتى هدأت الأصوات بالخارج وبدأ الأمل يعود ل"سعيد" ومن معه.. انتظروا مدة والصمت يخيم على الأرجاء حتى تطوع الشاب من الجور للتسلل لمعرفة ما حدث بالخارج.

غادر الشاب الغرفة ولم ينتظروا طويلاً حتى سمعوا صوت السيوف عاد مرة أخرى.. جرت "كوشي" تتفقد جميع زوايا الغرفة حتى وصلت إلى الزاوية ما بين اللونين الأحمر والأخضر وبدأت تتحسسها بيدها بسرعة شديدة والقلق يسيطر عليها.. بينما "سعيد"

يتابعها بعينه متعجباً مما تفعله.. وفي ثواني ظهرت أمام "كوشي" فتحة في الجدار، فنظرت إلى "سعيد" وقالت بتوتر شديد : « أسرع.. هذا مخرجنا من هنا.. هذا أملنا في النجاة.. »

وقف "سعيد" ليذهب إليها، ولكن صوت ارتطام قوي بالباب جعله يتوقف.. وفجأة فُتح الباب وأُلقيا بشيء داخل الغرفة سقط أمام قدم "سعيد".. نظر له "سعيد" مصدوماً وامتلأت عيناه رعباً.. تحت قدمه استقرت رأس الشاب من الجور.. تجمدت قدماه في مكانهما من الخوف، و"كوشي" تمد يدها نحوه وهي تنادي عليه.. ولكنه لم يستطيع ان يتحرك.

ألقي بداخل الغرفة زجاجة بدأت تنشر دخان أبيض خفيف أضعف حركة "سعيد" وسقط فوق الأرض، وبدأ يسمع صوت أقدام تدخل الغرفة.. لم يستطع الحركة وبدأ عقله يتصارع مع عيناه ليظل مستيقظاً.. رأى أقدام بشرية تسير نحوه وقد مد شخص يده ليوقفه ويخرجه خارج الغرفة و"سعيد" يحملق بعينيه إلى القناع الذي يرتديه هذا الشخص ليحميه من الغاز.

كانت "كوشي" مختبأه في جحرها تتابع ما يحدث في حزن ووجهها مغطى بالدموع، ولكن الخوف بداخلها قادها لتكمل طريق الهرب وهي تدرك بأن إنقاذ "سعيد" شيء مستحيل.

****

١٧

الطريق لقبة الخالدى

في الظلام سار "سالدر" بحذر شديد و"حسام" خلفه يتبعه بهدوء.. تسلل "سالدر" اتجاه البحر مرة أخرى ولكن هذه المرة ذهبوا باتجاه مبنى مرتفع تضيئه شعلات كثيرة.. سأله "حسام" هامساً : « ما هذا المبني ؟. »

قال "سالدر" : «شششش... أصمت.. هؤلاء الأرون حراس البحر.. إنهم لا يتهاونون.»

اقترب "سالدر" و"حسام" من المبنى أكثر حتى أصبحوا على مقربه منه، استطاع "حسام" أن يرى الأرون الزرق يحملون أسلحة غريبة ويسيرون بشكل منظم في كل طابق من طوابق المبنى، وبعضهم لا يحمل سلاح ويعقد يديه خلف ظهره ويسير ذهاباً وإياباً بانتظام يتفقد بعينيه كل ما حوله في مشهد غريب وكأنهم آلات مرتبة على حركات معينة.

عبر "سالدر" و"حسام" ربوة الرمال أمام الشاطئ واستقروا أسفل منها وبدأ "سالدر" في عمل حفرة داخل الربوة.. لم يتعمق "سالدر" في الحفرة طويلاً حتى مد يده ل"حسام" ونزلا معاً فيها.. كانت الحفرة تقودهم نحو نفق يعود بهم إلى داخل عالم البادا ولكن من أسفل.

كان النفق مجهز بأعمدة ترفع سقفه في المنتصف.. والأرض من تحتهم شديدة الرطوبة ويوجد مياه ببعض الأماكن المنخفضة.. قال "سالدر" : « هذا نفق مياه قديم للزراعة، لا يستخدمه أحد الأن.. سيعبرنا أرض الطوس وصولاً لمرتفعات البادا... »

ساروا مسافة طويلة داخل النفق والظلام يحيط بهم.. بدأت أقدام "حسام" تنغرس في الطين وأصبح السير أكثر صعوبة.. وبدأ يتسرب إلى عقله أفكار مخيفه فنظر إلى "سالدر" وسائله قلقاً : « ماذا لو دخلت مياه؟.. وامتلأ النفق بالمياه فجأة. »

-: « لا تقلق فهذا نفق قديم ..والمكان الذي يخرج منه أصبح خطير الأن.. لا يريد أحد وصول الماء إلى غابة "سوداك". »

-: « ماذا.... ؟!!. »

-: « إنها غابة الوحوش الطائرة.. على الأقل هي أفضل من الطوس. »

مضى وقت طويل وهم يسيرون في النفق حتى وصلا لنهايته.. خارج النفق كانت الرائحة والهواء أفضل قليلاً.. اتجه "سالدر" نحو شجرة ضخمة وكسر غصن منها وبدأ يفك رباط من حول معصمه وربطه بأعلى الغصن وأشعل نار به ليصنع شعلة مضيئة.. كانت تحيطهم أشجار كثيفة في كل مكان أغصانها متشابكة، لا يوجد بها أي أوراق.. أشجار عملاقة جداً لم يستطيع "حسام" رؤية ارتفاعها، وفكر للحظة بأن يتسلق إحداها لعلها تلامس سطح الأرض، ولكن لم تكن لديه من الشجاعة ما يكفي لفعلها في مكان مرعب مثل هذا.

كانت أصوات دهس أقدامهم للأغصان المنكسرة هي كل ما يصل لأذن "حسام" وضوء الشعلة يرسم ظلال متحركة للأغصان المتشابكة يزيد من خوفه، حتى أحس "حسام" بوجود حركة خلف الأشجار، وصنع خوفه تخيلات بأن الأشجار تتحرك وتمايل أغصانها بشكل غريب.. و"حسام" يتلفت حوله كالمجنون حتى وصل لأذنيه أصوات أخرى أكثر رعباً جعلته يقترب أكثر من "سالدر" وهو يحدق في الظلام فوقه.. انتشرت أصوات نعيق غربان لتغطي المكان حولهم .. همس "حسام" خائفاً : « الوحوش الطائرة!!.. »

توقف "سالدر" وقال ل"حسام" وهو يعطيه الشعلة : « لا تقلق.. امسك هذه ولا تفلتها أبداً من يدك.. وأتبعني بسرعة. »

تقدم "سالدر" متوغلاً داخل الغابة بسرعة، و"حسام" يجرى خلفه يتلفت حوله وقدماه ترتعشان خوفاً الفزع يسيطر على مشاعره مع اقتراب أصوات النعيب وتزايدها.. لمح "حسام" شبح طائر أسود طار مسرعاً من فوقه، وفي لحظات كان "سالدر" أمسك الطائر ونزع رأسه ثم ألقى به على الأرض ونظر ل"حسام" قائلاً : « هيا بنا.. أسرع. »

كان "سالدر" يزحف مسرعاً، و"حسام" خلفه يحاول اللحاق به وأصوات النعيق تزداد لتغطي الغابة بأكملها، وكأنها صيحات نذير حرب عليهم.. امتزجت صيحات الطيور الغاضبة مع أصوات رفرفة أجنحتهم خلف "حسام" الذي كان ينظر للخلف مرتبكاً وهو يجري.. كانت طيور ضخمة لها وجه يشبه وجه البوم، ومناقير مدببة واسعة في منتصف وجهها، وتمتلك مخالب طويلة، كادت إحداها أن تفترس ظهر "حسام".

مع تفادي "حسام" للطيور من خلفه لم ينتبه للأغصان أسفل قدميه.. سقط وهو يلوح بالشعلة لإبعاد الطيور عنه، ويده الأخرى يزحف بها للخلف، ونظر ل"سالدر" فوجده قد أبتعد عنه.. حامت الطيور من فوقه وبدأت تتجمع بكثافة واقتربت منه، وضع "حسام" يديه على وجهه لحمايته وهو يصيح مستغيثاً.. في لمح البصر عاد "سالدر" وبدأ يلوح بأذرعه الأربعة بقوة شديدة يميناً ويساراً يطيح بالطيور، لكن الطيور كانت تزداد من حوله.. انحنى "سالدر" وحمل "حسام" على كتفه وجري مسرعاً خارج الغابة حتى ابتعدوا، ومازال أصوات نعيق الطيور يتردد داخل أذانهم.

جلس "سالدر" على الأرض وكانت إحدى أذرعه بها جرح ينزف، بدأ يمسح مكان الجرح ثم اغترف بعض التراب وغطى الجرح به.. جلس "حسام" بجواره وسأله : « هذه الطيور في الغابة.. لماذا لم تهدموا النفق المؤدي لها ؟!. »

رد "سالدر" بهدوء : « أننا الدرور من صنعنا النفق.. حتى نصل إلى قبورنا.. حينما يشعر أحد الدرور بالضعف ويتيقن بقرب أجله يأتي ليموت في غابة سوداك.. هذه الطيور تأكل لحومنا.. ولكني لم أضعف بعد لأتركها تفعل هذا الأن. » ، بدأ "سالدر" بمسح التراب من الجرح بهدوء ثم أكمل قائلاً : « ألم تلاحظ العظام التي تملأ أرض الغابة.. إنها عظام أخواني وآبائي. »

رد "حسام" حزيناً: « لماذا لا تعيشون حتى تموتوا موتة عادية، هذا قاسي.»

تحولت نبرة هدوء "سالدر" إلى غضب وهو يقول : « بل حياة المريض أو العجوز منا هي القسوة.. إننا نعيش في عالم من الطغاة.. قائد جبان رضى بالذل لنا مقابل أن يحمي

الطوس قيادة الأسوم لسلالته في حجرة القادة.. أن نعيش في أرض المنبوذين أفضل من ذلك... »

قاطعه "حسام" متسائلاً : « وما أرض المنبوذين هذه ؟. »

لم ينتبه "سالدر" لسؤاله وأكمل قائلاً بغضب : « أن هذا القائد الخائن حتى لا يعامل مثل القادة الآخرون داخل غرفة القادة.. بكل تأكيد الجميع يعرف بأنهم يعاملونه كخادم، كما هو يعامل شعبه، أو كما رضى ليكون شعبه.. إن حلم الدرور هو العدل.. أقصى ما نريده أن يوضع رأس أحد الدرور في حجرة رؤوس العظماء.. إنها ممتلئة برؤوس ملوك الطوس، والوزراء من الأرون، وهناك رؤوس للادا الذين ساعدوا "ابن الخالدي" في أبحاثه، حتى البشر الذين لا يعيشون في هذا العالم، فرأس "ابن الخالدي" هناك، أما نحن لا.. كل ما نريده أن يحترموننا أو يكن لنا رمز مثلهم... »

ما أن أنتهى "سالدر" من إفراغ غضبه من الظلم الواقع له شعبه حتى وقف وعادوا للسير مرة أخرى، ولكن لم يطول السير حتى رأوا من بعيد أضواء مرتفعة على شكل مدرجات.. قال "سالدر" : « مرتفعات البادا.. قبة الخالدي في الأعلى.. الوصول لها صعب، والطريق خطير. »

سأل "حسام" : « وما هذا الضوء ؟!!. »

نظر "سالدر" للأمام وقال : « القبائل المنبوذة.. قبائل الغيلان، والمهجنين.»

-: « ماذا ؟... هل هم خطيرين ؟. »

-: « بكل تأكيد.. إنهم منبوذين.. وهذا سبب يجعلهم يكرهون الجميع.. لكن قبائل الغيلان هي الأكثر تفهماً هناك، وهم ملوك المنبوذين فهم من يملكون الماء هنا.. سأطلب مساعدتهم.»

-: « ألا يوجد حل آخر ؟. »

-: « هذا الجانب من المرتفعات يسمى أرض المنبوذين .. والوصول إلى الجانب الآخر سيأخذ وقت طويل، وأكثر خطراً.. به مناطق يعسكر بها حرس الطوس.»

كانت أضواء النيران تظهر المرتفعات مدرجة وكأنها هرم مدرج ضخم صنعه إنسان.. تسلق "سالدر" و"حسام" مرتفع كبير بصعوبة حتى وصلا لأرض منبسطة وممتدة توجد بها بعض الحفر يشتعل بها نيران.. بعيداً رأى "حسام" حظيرة يوجد بها حيوانات ضخمة.. استطاع أن يتأكد منها، وأخرج هاتفه بسرعة ليلتقط صور لها، وقال منبهراً : « ماموث.. إنه ماموث حقيقي. »

قال "سالدر" وهو يشير بعيداً : « أنظر هناك. »

كانت نيران مشتعلة ويجلس حولها كائنان ضخمان يتسامران.. إنهم غولان، يشبهان الإنسان تماماً ولكنهم ضخمان، ويغطى رؤوسهم شعر كثيف مجعد.. تقدم "سالدر" نحوهم بهدوء.. ما أن لمحه أحدهم حتى زمجر ووقفا الاثنان وتقدما باتجاهه وكلا منهم يحمل هراوة ضخمة في يده.. كان طولهم يقارب الستة أمتار، و"سالدر" قصير بجوارهم.. تحدث "سالدر" معهم وهو يشير نحو "حسام" بيده.. كان الغولان ينظران بتعجب نحو "حسام" الذي كان ضئيل جداً بالنسبة لهم.. تفهم الغولان كلام "سالدر"

وأشار أحد الغيلان لهم بإتباعه، بينما الآخر عاد ليجلس مرة أخرى للحراسة بجوار حفرة النار.

تقدم الغول وسار بهم داخل كهف واسع في الجبل، وكانت قناة مياه صغيرة تشق مدخل الكهف نصفين والماء بداخلها يسير خارجاً من الكهف.. سار "حسام" متعجب مما يحدث وسأل "سالدر" عما قاله للغول وأين يذهبون، أجابه "سالدر" قائلاً : « أخبرتهم إنك منبوذ مثلهم.. وطلبت رؤية ملكهم "أردان" ليساعدك. »

-: « ولكني لست منبوذ.... »

-: «هذا ما يجعلهم يساعدوك.. إنهم لطفاء ولكن العالم في الخلف لا يعترف بهم.. لذلك هم مُبعدون هنا في المرتفعات وبنوا لأنفسهم مملكة، وجعلوا لأنفسهم ملكاً لهم.»

كان بداخل الكهف الكثير من الغيلان يجلسون يأكلون، والجميع يحدق ل"حسام"، وكان بعض الغيلان نائم ،ويغطي الجو برائحة كريهة جداً.. جميعهم يرتدون الجلود يلفونها حول خصرهم وربما تغطي صدورهم كذلك، والنيران تنتشر في كل مكان لترفع درجة الحرارة كلما توغلا داخل الكهف.. وصل الغول بهم لمكان واسع به بركة مياه عليها غيلان يشربون منها، أشار لهم الغول بالتوقف هنا، وأكمل هو طريقه بمفرده.. استطاع "حسام" أن يرى خط من المياه ينسل من فتحه بأعلى السقف.. قال "سالدر" وهو ينظر للأعلى : « هذه المياه تأتي من عالم الموتى في الأعلى. »

رد "حسام" ساخراً :- « أظن بأننا كنا أحياء في الأعلى. »

أتى صوت من أخر الكهف تقدم "سالدر" وهو يقول ل"حسام" : « هيا.. سنقابل الملك "أردان".. ملك أرض المنبوذين. »

وصلوا لأخر الكهف حيث جلس غول ضخم له ذقن طويلة مجدولة فوق حجر كبير وكأنه عرش الحكم.. تقدم "سالدر" وانحنى وبدأ يتحدثا سوياً لفترة.. كانوا يتحدثون بلغة غريبة تشبه اللغات الشرقية، استطاع "حسام" تمييز بعض الكلمات المشابهة للغة العربية.. كان الملك يستمع ل"سالدر" وهو يحدق بعينيه نحو "حسام".

فجأة وقف الملك وحمل شعله ثم صعد واقفاً فوق الحجر الكبير، ليضيء الجدار من خلفه، ثم بدأ يمسح الجدار بيديه.. سأل "حسام" "سالدر" عما يفعله هذا الملك الغريب.. رد "سالدر" بصوت خافض : « يقول إنه يعرف شعبك... »

مسح الملك الغبار عن رسوم قديمة كانت نقشت على الجدار لتظهر غول مقيد بالحبال وتجره كائنات صغيرة.. ظل الملك يمسح حتى ظهرت الرسمة بالكامل.. نقش يصور بشر يجرون غول عملاق يحمل أحجار ضخمة فوق ظهره.. نظر الملك نحو "حسام" وصاح : « قسوة... تكبر... »

تقدم "سالدر" مسرعاً وانحنى وهو يتحدث مع الملك فترة حتى هدأ الملك وجلس على كرسيه الحجري.. بينما "حسام" مفزوع لا يعلم ما يحدث وكان جميع من حوله من الغيلان ينظرون إليه في غضب نظرات تكاد أن تقتله رعباً.

عاد "سالدر" بجوار "حسام" وقال له : « يقول الملك بأنهم كانوا يعيشون معكم.. وكنتم تسخرونهم وتعاملونهم بقسوة.. وقد رسم أجدادهم هذه النقوش ليحذروهم منكم... »

-: « وكيف للبشر أن يسخروا مخلوقات بهذا الحجم.. أنه يكذب. »

-: « لا يهم الحجم .. فنحن أضخم مخلوقات عالمنا ولكننا نخدم جميع من يعيش هنا.»

قال "حسام" ناكراً : « أنني سمعت عن الغيلان.. في القصص عندنا.. ولكن القصص تقول بأنهم هم من يأكلون البشر. » ، ضحك "سالدر"، فسأله "حسام" : « هل يعرف ملك الغيلان الطريق لعالمنا ؟. »

-: « لا.. قال بأن أجداده أخفوا طريق الوصول إليه حتى لا يستطيع أياً من الغيلان أو البشر الوصول إلى الآخر، لذلك هو متعجب من وجودك هنا.. ولكني توسلت له وأخبرته أنه ربما كان مخطئاً فيك.. وقد اقتنع بكلامي، لذلك سيرسل معنا الغول "مرحان" ليساعدنا على عبور أرض المنبوذين. »

لم يمر وقت طويل حتى دخل القاعة غول ضخم جداً يحمل هراوة كبيرة بيده واتجه نحو الملك، قال "سالدر" وهو يشير إليه : « هذا "مرحان" إنني أعرفه. » ، ثم توجه "مرحان" نحوهم ورحب بهم وأخبرهم بأن يتبعوه، ولا يخشوا من شيء في أرض المنبوذين.

سار "سالدر" و"حسام" خلف "مرحان" الذي عبر بهم المرتفعات من أماكن ممهده في الجبال وصعدوا إلى المرتفع التالي، وجدوا فيه كائنات تشبه الغيلان لكنها أقصر قامه منها فطولها لا يتعدى الثلاثة أمتار.. قال "سالدر" : « الغيلان الأقزام.. إنهم شرسون. »

تقدم "مرحان" وتحدث مع قائدهم الذي وقف مرحباً ب"مرحان"، وسمح لهم بالعبور.. وكانوا جميعاً يحدقون باستغراب نحو "حسام".. وأعطوهم طعام وشراب لرحلتهم.

عبروا المرتفعات وما بها من قبائل غريبة.. كانت هناك قبيلة من كائنات يمتلكون أربعة أذرع وليس لهم أرجل، يستخدمون ذراعيهم الخلفيتين للسير.. ومروا على قبيله بها كائنات يغطي جسمها الشعر تشبه الشمبانزي ولكنها ضخمة، تستطيع أن تلف رؤوسها لفة كاملة، أعطوهم فاكهة كثيرة.. وكذلك كائنات غريبة كثيرة.

ظلوا كذلك يعبرون المرتفعات حتى وصلوا لقبيلة بها كائنات غريبة ومختلفة.. فزع "حسام" من رؤيتهم.. كانوا ذئاب.. رجال لهم رؤوس ذئاب كالمذؤوبين يغطي أجسامهم شعر أسود كثيف، طولهم يتجاوز المترين، يسيرون على قوائمهم الخلفية منتصبين مثل البشر، ولهم مخالب طويله، ولديهم ذيول كثيفة الشعر، عوائهم مفزع، كانوا غير ودودين.

تقدم "مرحان" ليتحدث مع قائدهم الذي زمجر بصوت عال في وجهه.. رفع "مرحان" هراوته وكاد أن يحطم رأسه لولا ارتداد قائد الذئاب للخلف في خوف.. ثم تحدث مع "مرحان" وعينيه الحمراوين تحملقان في "حسام"، ثم أقترب ببطء من "حسام" و"سالدر" وبدأ يحوم حولهما على قوائمه الأربعة، ثم انتصب على قدميه الخلفيتان مرة أخرى وأقترب من وجه "حسام" وزمجر ليرسل أنفاسه الكريهة لأنف "حسام"، ولتظهر أنيابه المدببة الطويلة.

كان "مرحان" مازال يرفع هراوته متحفزاً حينما ضاق من تصرفات قائد الذئاب، فصاح غاضباً.. ابتعد الذئب للخلف وانحنى خائفاً وتحدث مع "مرحان" بصوت ضعيف منكسر.. فأشار "مرحان" ل"سالدر" و"حسام" بالعبور.

عبر "مرحان" معهم، ووقف يتحدث مع "سالدر" ثم تركهم ونزل عائداً لقبيلته مرة أخرى.. أخرج "حسام" هاتفه وهو يسأل : « وصلنا قبة الخالدي ؟. »

أجابه "سالدر" وهو ينظر للمرتفعات : «لا.. مازال الطريق طويلاً للصعود.»

-: « ولكن.. لماذا تركنا الغول؟. »

-: « لقد انتهت أرض المنبوذين.. ما بعد ذلك ليس داخل سيطرتهم.. لا تقلق لا توجد قبائل أخرى أو أي شيء يعقنا سوى الصعود. »

بعد هذا المرتفع أصبح الصعود صعب والأراضي غير ممهدة، ومع كل مرتفع يزداد الأمر صعوبة.

****

١٨

الحرب

فجأة توقف "سالدر" وغطى الخوف وجهه وقال : « أطفئ الشعلة... » ، ثم بدأت آذناه تتحرك بشكل غريب كأنها رادار يلتقط إشارة، وظهر الفزع على تحركاته .. إنه الخوف .. الجبن غريزة في الدرور .. خطر قادم بكل تأكيد .. سوف يهرب "سالدر" ويتركني بمفردي .. هكذا تصارعت هذه الأفكار داخل عقل "حسام" الذي تسلل الخوف والفزع إليه، فأخرج هاتفه من بنطاله حتى ما أن يهرب "سالدر" يضيئه ليعرف طريقه، لكن بادره "سالدر" وقال بصوت مبحوح : « الحرب بدأت.. أصوات السيوف، الألم والصرخات.. أسمعها جميعاً. »

كان المكان بالنسبة ل"حسام" هادئ ولا آثر لتلك أصوات، لكن "سالدر" مازال صامتاً يسترق السمع بأذانيه الكبيرة، وفجأة اقترب من "حسام" ووضع يده على كتفيه وقال بآسي : « قبة الخالدي في الأعلى.. اذهب إليها.. لا تخف يمكنك الوصول إليها.. أنا سأبقى هنا. »

رد "حسام" مستنكراً : « ماذا؟!... لن تأتي معي... »

-: « لا.. أهرب أنت.. سوف أحميك من هنا.. أنا "سالدر" بن "فازور" حفيد "غلدور" الكبير.. خادم "ابن الخالدي".. سأحارب دفاعاً عنك لأرفع رأس شعب الدرور... » ، ثم نظر "سالدر" إلى الجهة الأخرى وهو مازال يمجد في نفسه وفي اسلافه حتى توقف محدقاً عينيه ومتحفز إلى شيء ما قادم، وقال ل"حسام" دون أن ينظر إليه : « اهرب.. اهرب الأن.. إنهم قادمون !... »

وصل لسمع "حسام" أصوات من بعيد، فسرت قشعريرة في جسده وبدأ يتسلق المرتفع بسرعة وشرع في الجري بعيداً حتى تعالت الأصوات.. نظر "حسام" وهو مختبئ في الظلام إلى الخلف ورأى جنود الطوس تحمل المشاعل ومتجهه نحو "سالدر" الذي مازال واقفاً في مكانه وصاح بهم صيحة أفزعتهم وجعلتهم يتوقفون للحظة.. استطاع "حسام" أن يرى وسط جنود الطوس قائد قبيلة الذئاب .. هذا الخائن وقف في منتصفهم يبرز أنيابه البراقة وسط شعلات النيران.

تقدمت الجنود نحو "سالدر" الذي بدأ يلوح بذيله ليطيح بهم بعيداً ، ويضرب بقوة بيديه لتتطاير الدماء وأشلاء جنود الطوس أمام قوة "سالدر" المهولة.. ليظهر قوته وقوة شعبه الذي دثرها الجبن والخوف بداخلهم.

كان أعداد جنود الطوس كثيرة جداً ويحملون رماح وسيوف حادة، تمكنوا من إعمالها في جسد "سالدر" لتتقاطر الدماء منه ومازال صامداً على قدميه يحارب ويزداد صراخه لتملأ صيحات الغضب المكان، وكأنه يريد إرسالها للعالم بأكمله ليخبره بأن الدرور ليسوا جبناء.

وقف "حسام" في الظلام ينظر بحزن شديد إلى المعركة.. ولا يستطيع عقله أن يستوعب ما يحدث.. هل يمكن لأحد أن يضحي بحياته من أجل حياة شخص آخر رغم اختلافه الكامل عنه، وعدم معرفته الكاملة به.. احتقر "حسام" نفسه لكونه كان يعتبر "سالدر" في البداية مجرد وحش لاختلافه عنه، ولكنه الأن يرى هذا الوحش ينزف دماً ويضحي بحياته من أجله.. إن "سالدر" ليس جبان، فلديه من الشجاعة ما تفوق معظم البشر ، بل جميع من عرفهم "حسام" من البشر.

ضعفت قدم "سالدر" وخر ساقطاً على الأرض وعينيه تنظر نحو المرتفع الذي صعده "حسام"، وجنود الطوس مازالوا يضربونه بسيوفهم، والذئب الخائن يطأ بقدميه جسد "سالدر" ويغرس مخالبه به.

لم يستطع "حسام" أن يستوعب ما يحدث وعينيه تنظر مباشرة لعين "سالدر" الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو ينظر ل"حسام" وكأنه يترجاه ألا يهدر تضحيته هباءً .. زاد شعور الخوف بداخل "حسام" فأطلق ساقيه للريح ليهرب مبتعداً عن هؤلاء الوحوش، وعينيه يسيل منها الدموع لفراق "سالدر" رفيق رحلته.

اختلطت مشاعر كثيرة من الحزن والخوف داخل نفس "حسام" وكان يجري دون هدى أو دليل على طريقه.. توقف "حسام" وهو لا يعلم إي اتجاه يذهب فأخرج هاتفه متمنياً في نفسه أن يجد إشارة، ولكن للأسف لم تكن هناك إي إشارة مطلقاً، فعرف إنه يتوجب عليه الاستمرار في الصعود للأعلى وصولاً لقبة الخالدي.. هناك بكل تأكيد سيجد إشارة تمكنه من الاتصال بأي شخص فوق الأرض.

كانت المرتفعات تزداد إنحداراً وصعوبة وبدا الأمر مستحيلاً بالنسبة ل"حسام" خاصة بعد رحيل "سالدر" الذي كان يساعده كثيراً في التسلق .. تمكن التعب من "حسام" حتى وجد مغارة صغيرة في جانب الجبل فأضاء هاتفه وتفقدها ثم دخلها وجلس بها ليستريح قليلاً قبل مواصلة رحلته إلى الأعلى.

جلس "حسام" يتفقد هاتفه وهو يرى آخر صور التقطها قبل سقوطهم هنا.. كانت صوراً له مع صديقه "سعيد" في رحلة السفاري.. ظل يتفقد الصور بحزن وهو يحدث نفسه بأنه ما كان عليه الذهاب وترك "سعيد" هناك، كان لابد له أن يجعله يرافقه ولو بالقوة.. وقال لنفسه لو كان "سعيد" معه هنا الأن لخفف من حزنه وجعل هذا المكان أقل وحشة.

كان "حسام" مازال يستريح حينما وصلت لأذنيه أصوات صيحات وصراخ بعيدة.. أطفئ هاتفه وخرج.. كانت الأصوات قادمة من الجهة الأخرى من المرتفعات، ولكن المكان الذي فيه ضيق ولا يستطيع الالتفاف منه.. لم يكن أمامه سوى الصعود لمكان أعلى حيث يمكنه الالتفاف منه وتفقد هذه الأصوات.. كانت مهمة صعبة فهذا المرتفع أكثر انحدارا، ولكن استطاع "حسام" تسلقه بمجهود كبير، ومازالت الأصوات تتعالى.

المكان في الأعلى واسع استطاع "حسام" الالتفاف حول المرتفعات بهدوء للوصول إلى الجهة الأخرى وكانت أرض واسعة ومنبسطة ورأى الجبال أسفل منه شديدة الانحدار .. لو سقط أحد لمات فوراً وربما مات من الخوف قبل الاصطدام بالأرض.

هناك في الأسفل كانت الصراخات تتزايد مع أصوات صليل السيوف اللامعة على ضوء النيران.. الدماء تغطي الأرض.. بدأت الحرب بين الجور والطوس.. قتلى كثيرين من كلا الفريقين في الأسفل.. الدماء تلونهم جميعاً باللون الأحمر .

رأى "حسام" جنود الطوس المدربين على القتال يطيحون بالكثير من الجور الذين يحملون سلاح لا يستطيعون استعماله.. كثرة الدماء جعلت "حسام" يتذكر منظر "سالدر" وجسده تغطيه الدماء، فبادرته عيناه بإرسال دمعة سقطت للأسفل لتصل إلى المعركة المشتعلة.

منظر حزين يجعلك مشلول التفكير ولا تريد أن تصديقه، على أمل أن يكون كل ذلك كابوس محتلاً للعقل وأنت على وشك الجلاء منه مع استيقاظك، ولكن حقيقة الدماء والقتل أقوى من أن تترك هذا الأمل لك.

وقف "حسام" على حافة المنحدر ينظر للأسفل وهو شارد الفكر طويلاً، حتى قطع حبل أفكاره صوت من خلفه.. ابتعد "حسام" عن الحافة ونظر للخلف ليرى شخص قادم نحوه يحمل شعلة.. تقدم ببطء نحو "حسام" الذي اندهش كثيراً لرؤيته ، وقال "حسام" : «أنت.. لماذا لست مع شعبك في الحرب؟.. ألست زعيمهم ؟. »

ابتسم "حرود" وقال : « نعم.. ولكنهم عندما ينتصرون بحاجه لزعيم حي.. ولو مت في الحرب لانتهت الثورة مباشرةٍ. »

رد "حسام" ساخراً وهو يشير للحرب في الأسفل : « هذا على أساس أنكم الأن منتصرين.. على كل حال لا يهمني.. أين "سعيد"؟.. صديقي!.. »

أحنى "حرود" رأسه وقال بحزن : « للأسف.. لم نستطع أن نفعل شيء... »

صُدم "حسام" وصرخ قائلاً : « ماذا؟!.. هل قتلوه؟... »

اقترب "حرود" من "حسام" وقال نافياً : « لا.. لا.. لا أعتقد هذا.. الطوس هجموا على المعبد وربما أسروه عندهم.. بكل تأكيد سننقذه حينما ننتصر. »

التفت "حسام" لينظر للمعركة وقال : « تنتصروا... إنكم هزمتم بالفعل.. أنظر لشعبك الذي يُهلك بسببك. »

-: « ولكنك أنت معنا الأن.. ستنقذنا.. أليس كذلك؟.. » ، ثم نظر "حرود" إلى الأسفل نحو المعركة وأكمل قائلاً : « سلاحك سيقلب الحرب لصالحنا. »

-: « هذا ليس سلاح.. لقد قدت شعبك للموت من أجل أحلامك أنت. »

-: « لا.. بل من أجل العدالة والمساواة. »

-: « العادلة والمساواة مع الحمر أم أن تكون أنت مثلهم... » ، ثم أكمل "حسام" قائلاً بحزن : « لقد فقدت صديقي ... في الحقيقة لقد فقدت كل من أعرفهم بسقوطي في هذا المكان. »

-: « سوف أساعدك لتجد طريق يعيدك إلى وطنك. »

قال "حسام" غاضباً : « هل تعتقد هذا؟!.. لا يوجد طريق للعودة... لم يكن هناك طريق أبداً سوى طريق واحد وهو للسقوط هنا. »

-: « يمكنك أن تعيش معنا.. ستكون ذو شأن كبير إذا ساعدتني في نجاح الثورة.. بأن تحمس الجور بوجودك بينهم... »

-: « لقد كنت ذو شأن كبير عند الطوس.. من يحكمون ويظلوا يحكمونكم.. وتركتهم، وأنت تعدني بمنصب لن تصل أنت إليه.. أنت رجل جبان تريدني أن أخدع الناس بأوهام لتصل لحلمك في الحكم.. ولو حلمك هذا مبني على أحلامهم ودمائهم.. »

ابتسم "حرود" ابتسامته الباردة وقال ساخراً : « أصبحت الأن مستنيراً تتكلم عن حقوق شعوب البادا. »

غضب "حسام" من سخريته وقال منفعلاً وهو يشير للمعركة في الأسفل : « وأنت فجأة أصبحت قائد عسكري لا يعرف شيئاً عن الحرب يقود مجموعة من الضعفاء لا يعرفون شيئاً عن القتال نحو هلاكهم.. وأنت مختبئ بعيداً عن الخطر.. وكل هذا من أجلك فقط.. من أجل حلمك بالحكم.. وأن تعامل الحمر بقسوة كما كانوا يعاملونكم. » ، ثم التفت "حسام" له وقال : « أنظر.. لا تخجل.. هل ترى كمية الدماء في الأسفل؟!.. بينما أنت هنا تختبئ تحلم بالسلطة... »

وقف "حرود" فوق الحافة يشاهد المعركة الطاحنة في الأسفل وبجواره "حسام" الذي أكمل حديثه : « هل تعلم شيء؟!... لا أعرف ثرثار بقدرك، ثرثرته تقود إلى كل هذه الدماء.. سوى الشيطان. » ، ورجع "حسام" للخلف مبتعداً عن الحافة والتفت قائلاً :

« لقد فقدت كل شيء.. لم أعد أهتم بأي شيء.. خاصة بعد الأن... » ، ثم ركل بقدمه "حرود" في ظهره ليسقط من فوق المنحدر إلى الأسفل.

صرخ "حرود" صرخة عظيمة التفت لها بعض من في الأسفل.. وقعت عين "حسام" على "ساود" في الأسفل يقاتل وقد رفع رأسه ليشاهد زعيمه الذي يحارب من أجله وهو يسقط.. رأى "حسام" عين "ساود" وهو تنظر بغضب شديد نحوه، وأعتقد بأن جميع من في الأسفل قد رأوه.. امتلئ قلب "حسام" رعباً وهلعاً ورجع للخلف هارباً.

ظل "حسام" يجري خائفاً لا يبالي بما حوله والمكان الذي يجري فيه.. سقط كثيراً ولكنه يعود ويقف بسرعة ليكمل طريقه.. ويتسلق ما يستطيع تسلقه من مرتفعات ولا يهتم بشيء سوى أن يبعد هارباً.. جرى فوق صخور حادة وظل يسقط فوقها حتى تمزقت ملابسه، وسالت الدماء من قدميه.. وفي النهاية أجهده التعب حتى وصل إلى أرض رطبه ولامست قدماه أشياء لينه كأنها عشب ناعم، والهواء من حوله بارد.

جلس "حسام" على الأرض وكان الظلام والهدوء يحيطه من كل مكان.. خلع الحقيبة من فوق كتفه.. وأفترش الأرض وأخرج هاتفه ليجده مازال مفتوح وعلى الشاشة صورة "سعيد".. أغلق "حسام" الهاتف ولكم الأرض بقبضته نادماً وهو يقول : « أنا السبب... لماذا سمعت كلام هذه الشيطانة الإيطالية؟!!.. مغارة أثرية غير مكتشفة بها كنوز كثيرة ستجعلك أغنى من صاحب الفندق!!.. هذه الشيطانة كانت تعرف أن هذا سيحدث.. وأنا أخذت "سعيد" إليها.. والأن هو ميت بسببي.. بسبب

طمعي.. » ، ثم أعتدل وقال مخففاً عن نفسه الشعور بالذنب : « ولكني أردته أن يشاركني هذا الكنز.. وكنت سأخبره بأننا لم نجده صدفه. »

التفكير والجهد الذي بذله "حسام" قد أتعباه فالتقط الحقيبة يفتشها لعله يجد بها شيء يفيده.. كانت تمزقت كثيراً وسقطت أشياء كثيرة منها.. لم يكن بها سوى الصندوق الخشبي الذي أخذه من المعبد وكذلك مخطوطة واحدة.. أخرج "حسام" هاتفه بسرعة وأضاءه ليقرأ ما كُتب بالمخطوطة، ولكن الإحباط ملأ وجهه حينما لم يجد سوى ورقة واحدة كتب في منتصفها " الوصول إلى جزيرة الساحر " ولا يوجد غيرها.. ابتسم "حسام" ساخراً واستلقى على ظهره ووجهه للأعلى، وفي يده المخطوطة التي تركها لتتطير مع نسيم الهواء البارد، ويمسك بيده الأخرى الهاتف.. وعينيه تحدق في الظلام الممتد للأعلى وهو يحلم بالعودة إلى الأرض ورؤية الشمس مرة أخرى.

استلقى "حسام" يستريح.. يستنشق نسمات الهواء الباردة المنعشة من حوله في صمت.. ولكن كسر هذا الصمت صوت نغمة قصيره صادرة من هاتفه، انتفض جالساً ليتفقد الهاتف وينظر لشاشته المضيئة والتي كتب في منتصفها "البطارية ضعيفة".

****

.....نهاية الجزء الأول.....

الجزء الثانى

(بين عالمين)